تسويرُ السُّورةِ القرآنيةِ

إعجازٌ متجدِّدٌ

الأستاذ الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن - كلية الشريعة - جامعة قطر
مؤسس مشروع بصائر المعرفة القرآنية

تسويرُ السُّورةِ القرآنيةِ.. إعجازٌ متجدّدٌ
(دراسةٌ تطبيقيةٌ على سورةِ النساءِ)

عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
كلية الشريعة–جامعة قطر–قطر
s1435y@gmail.com

ملخص البحث

هدف البحث: الكشف عن جوانب متجددة من البينة القرآنية، لتنير العالم ببصائر القرآن المجيد بما يُظهره من نمطٍ تجديديٍ في علم التدبر القرآني يتمثل في (علم تسوير السور القرآنية) الذي يعد أفقًا بحثيًا رائدًا وواعدًا في حقل الدراسات القرآنية.

منهج الدراسة: استخدمت المنهج الوصـفي الاستقرائي التتبعي لرصد علاقات الآيات في السور معملًا المنهج التحليلي والاستنباطي في استنطاق النص القرآني في سورة النساء، وما اكتنزه من وجوه ودلالات تشكِّل بتمايزها محاورَ السورة الكليةَ والأقسامَ المتفرعةَ عنها.

النتائج: أولًا: (علم تسوير السور القرآنية) يعد فتحًا تجديديًا يُظهر التفسير الكلي للسورة، ويجعل المصطلح المناسب لذلك قرآنيًا، ويظهر أن الاتصال بين الجمل والآيات القرآنية ليس قائمًا على العلاقات البلاغية أو البيانية فحسب بل ترى بينها ترتيبًا رقميًّا يريك البناء القرآني بعضه فوق بعضٍ في منطقية مدهشة لآياته وسوره وأجزائه وأقسامه، ومن خلال ذلك يظهر تشييد القرآن للحياة البشرية في المجالات المتعددة.

ثانيًا: عمود سورة النساء، وهو الموضوع الكلي لها: "بث الحياة الإنسانية، والتنظيم الإلهي الحقوقي لها، وحماية المستضعفين وخاصة النساء والأطفال من الاضطهاد"، وهو موضوع يمكن أن تقدمه الأمة الإسلامية هدية للأمم المتحدة والمتفرقة، والعالم المتخبط في البحث عن حقوق الإنسانية.

أصالة البحث: يحاول البحث التقعيد لعلم (التسوير المعنوي)، ويوظف ذلك بصورة فيها بعض التجديد في سورة النساء، حيث يُظهر كنوزًا قرآنية مخبوءة تبني الحياة، وتبين للبشرية لئلا تضل وتشقى، وتوظف ذلك في التواصل الحضاري مع العالم للقيام بوظيفة البلاغ.

الكلمات المفتاحية: تسوير السورة، محاور سورة النساء، الإعجاز القرآني.

Structural and Thematic Coherence in Quranic Surahs (*Taswīr*), a New Domain in Quranic inimitability (Surat Al-Nisā' as a model)

By 'Abdul-Salām M. Al-Majīdī

Professor of Quran Sciences and Exegeses

College of Sharia – Qatar University

s1435y@gmail.com

Abstract

Objectives

This study seeks to provide evidence for new aspects of Quranic eternal challenge, so as to offer humanity new insights unto the contemplation (*tadabbur*)of the structure and the meaning of the Quran through introducing the concept of structural coherence (*taswīr*) of the Quran;which is a pioneering and promising research area within the broader field of Quranic studies.

Methodology

The study employs the descriptive inductive approach which traces the relationships between the verses within the surahs, in addition to making use of the analytical and deductive approach in exploring new semantic areas that constitute the thematic dimensions of the entire Quranic surah and its sub-sections.

Findings

The study reached the following main results:

1. The domain of structural and thematic coherence (*taswīr*) of the Quranic surahs constitutes an innovative arena that amplifies the overall interpretation of the surah. The concept (*taswīr*) itself is derived from the Arabic label given to the Quran chapters[1]. It stresses the coherence between the Quranic sentences and verses as it is not only based on rhetorical or stylistic relationships but there is also some kind of geometrical structure that shows an amazing coherence among the verses, the surahs, the parts, and

[1] *Surah* literally refers to the fence surrounding the verses in one chapter of the Quran; that is, the fenced piece of the Quran. [translation note].

the sub-parts. As the Qur'ān is abook for life, such structural and thematic coherence should be reflected in the structuring of the different aspects of human life.

2. The Core theme of Surat Al-Nisā' is: "Dispersing the human life, the divine regulation of human rights, and protecting the weak, especially women and children, from any type of oppression". This is a holistic perspective that the Muslim Ummah can present as a civilized contribution to the United Nations as well as the entire humanity in regulating human rights.

Originality

The study introduces and lays the foundations for the innovative concept of Quranic *taswīr*, applies it on Surat Al-Nisā', and reveals some uncovered treasures of the Quranic meanings. By doing so, the study furthermore provides implications for guiding humanity and rescuing it from sufferingsthrough employing this aspect of the Quran inreinforcinginternational communication.

Keywords: Quranic Structural and Thematic Coherence (*Taswīr*), Thematic dimensions of Surat Al-Nisā', Quranic inimitability.

مقدمة

الحمد لله.. جعل القرآن العظيم مفتاح آلائه، وخاتم بيانات رسله وأنبيائه، أحمده على توالي نعمائه، وأشكره على تتابع كرم لا أمد لانتهائه، ذلكم الله ربي له الأسماء الحسنى {فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف: 180]، وأصلي وأسلم على سيدنا محمَّدٍ عبده ورسوله أرسله بكتاب مبين أوضحه فأشرقت نجومه إشراق البدر في أفق سمائه، وعلى آله وصحبه ما أقبل الليل بظلامه وأدبر النهار بضيائه.

وبعد:

فإن الآية القرآنية كنزٌ متجدد الثروة يفيض بمعانٍ ثريةٍ لكل من يستسقيها، تجري من تحتها المفاهيم التي لا تقبل الانزواء أو الوقوع في دوائر النسيان.. هذا شأن القرآن المعجز لا غير؛ **"كلما ازدادت البصائر فيه تأمُّلًا وتفكيرًا زادها هدايةً وتبصيرًا، وكلما بجست معينه فجَّر لها ينابيع الحكمة تفجيرًا"**[1].

ويعد (علم تسوير السور القرآنية) فتحًا تجديديًا في حقل الدراسات القرآنية:

- يهدف للكشف عن جوانب متجددة من البينة القرآنية المعجزة؛ لتنير العالم ببصائرها.
- ويُظهر نمطًا جديدًا في علم التدبر القرآني يوصل إلى التفسير الكلي، ويكسبنا معرفة جديدة، ويُظهِرُ مبادئ إنسانية كلية ترى هيمنة القرآن المجيد فيها على الحياة {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا}[الأنعام: 104].
- ويمكن اعتباره الأداة التطبيقية الواقعية للإحكام والتفصيل الواردين في قوله ﷻ: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[هود:1]، فالإحكام يعني المنع من تسرب الخلل للفظ والمعنى والنَّظْم، والتفصيل بيانٌ دقيقٌ له؛ فكل آيةٍ تسوقك إلى ما بعدها بترتيبٍ مُعْجِزٍ، وعلى نسقٍ خطِّيٍّ مستقيمٍ يبين التماسكَ الموضوعي في السورة، ويساعد على إقامة الحجة على المستوى العالمي بالبلاغ القرآني. هذا يوجب المصابرة والاصطبار في استكشاف البينة القرآنية، والمحاور التي كونت سورها، لتستبين البصـــائر القرآنية التفصيلية، فتوجه الحياة، وتبني المجتمع البشري بهداياتها، وتظهر الأنوار الواقعية للإحكام المدهش لآيات القرآن الحكيم وسوره ضمن علم اتصال النظم القرآني.

وهذه ملامح علمية تقعيدية موجزة، عنونت لها بالآتي:

---

[1] محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1416هـ-1996م)، ط3، ج:1، ص:27.

نضائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية ترقى

تسويرُ السورةِ القرآنيةِ.. إعجازٌ متجدّدٌ
(دراسةٌ تطبيقيةٌ على سورةِ النساءِ)

أهمية البحث:

هذا البحث محاولة لاكتشاف المعجزة القرآنية مجددًا، تُظْهِرُ أنواعًا جديدةً في العلاقات بين الجمل والآيات في إطار السورة الواحدة؛ إذ الاتصال بينها ليس قائمًا على العلاقات البلاغية أو البيانية المعتادة مثل المعاني التي تكتنزها الواو في عطفها فحسب بل ترى بينها ترتيبًا رقميًّا يربك البناء القرآني بعضه فوق بعضٍ في منطقية مدهشة لآياته وسوره وأجزائه.

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق جملة أهداف هي:

1) إبراز منهجية علم (تسوير السور القرآنية)، وتوظيفه في تجلية جلال النص القرآني وجماله، وثرائه بالمعاني الزاخرة.
2) إظهار وجهٍ إعجازيٍّ متميز يبرز التعانق الخطي الرقمي المتتابع للمفاهيم التي تقدمها آيات سورة النساء تطبيقًا لمنهجية (علم التسوير).
3) تجلية الحكمة والإحكام بين آيات سورة النساء وفق الاتصال الدائري الذي يربط أول السورة بآخرها، وآخرها بأولها، وإظهار الظلال الواقعية لها، والوصول إلى الموضوع الكلي(**عمود السورة**) الذي تدور حوله السورة، حيث اكتشفت في الأخير أنه هدية إلى العالم الإنساني يسهم في حل أعتى مشاكله، ويمنحه القدرة على إقامة مجتمع حقوقي عالمي بالقسط.

منهجية البحث:

اعتمدت في إعداد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي التتبعي لرصد علاقات الآيات في السورة معملًا المنهج التحليلي والاستنباطي في استنطاق النص القرآني، وما اكتنزه من وجوه ودلالات تشكل بتمايزها محاور السورة الكلية والأقسام المتفرعة عنها، ومررت لذلك بمراحل، أهمها:

المرحلة الأولى: التدبر الأولي: وذلك بقراءة سورة النساء آية آية قراءة تدبرية، وتقسيمها إلى محاور، والمحاور إلى أقسام.

المرحلة الثانية: استجلاء عمود السورة (الموضوعي الكلي): فبعد أن قرأت نحو الستين آية منها عدت إلى بداية السورة للمراجعة والتحرير، وهنا يبدأ (عمود السورة) بالتشكل، فأضع عنوانًا مقترحًا له.

المرحلة الثالثة: إعادة البناء المنطقي: فبعد الانتهاء من التدبر الأولي للسورة ورصد المحاور والأقسام في صورةٍ منطقيةٍ متتابعة، عدت من آخر السورة إلى أولها للتحقيق والتهذيب مجددًا.

المرحلة الرابعة: (الاستقرار): وذلك بالمراجعات المتكررة لكل ما سبق، حيث تزداد الأفكار وضوحًا، ويحدث الدمج أو التقسيم للمحاور والأقسام.

المرحلة الخامسة: مدد السابقين: بالرجوع إلى ثمانية من كبار أئمة المفسرين ممن ألفوا كتبًا فاصلة في تاريخ التفسير، ومثلوا مدارس متنوعة في التفسير، وهم:

محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، ومحمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، ومحمد بن عمر الرازي (ت606هـ)، وعماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، وإبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ)، ومحمد رشيد رضا الحسيني (ت1354هـ)، والطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، ومحمد متولي الشعراوي (ت1419هـ)- رحمهم الله جميعًا-.

وأَخَّرْتُ هذه المرحلة لئلا أقع أسيرًا لفكر أي مؤلف في تدبر القرآن المجيد، فقد يحول ذاك بيني وبين أنوار القرآن الحقيقية.

الدراسات السابقة:

نادرة هي الدراسات التي عُنِيَتْ بتناول مصطلح **(تسوير السورة) من الناحية الموضوعية**؛ إذ إنه لم يزل بكرًا لم يُعْطَ حقه من البحث والإنضاج، ومن ثم التوظيف في الدرس التفسيري، فأنت لا تكاد تجد من أفرده بالبحث والدراسة، وإنما ذُكِر في إطار التعريف بحدود السورة فقط لا في الدرس التفسيري[1]، وتوجد بعض الكتابات المعاصرة التي تلامس هذا البحث بعض ملامسة، ومنها:

1) إمعان النظر في نظام الآي والسور، للدكتور: محمد عناية الله أسد سبحاني.
2) النظم القرآني في كشاف الزمخشري، للدكتور: درويش الجندي.
3) الإعجاز في نظم القرآن، للدكتور: محمود السيد شيخون.
4) النظم القرآني في سورة الرعد لمحمد بن سعد الدبل.

وهذه العنوانات الأربعة لا تعدو أن تكون تناولًا من زوايا مختلفة لنظرية النظم المشار إليها إما بمنحى الدراسة التحليلية أو التطبيقية أو بكلتيهما.

ما الجديد الذي أحاوله هنا ولم أره عند الطبري والرازي والبقاعي وأئمة الهدى السابقين ومن طَرَقَهُ من طَرَفٍ ما من المحْدَثين؟

إنه بيان الإحكام القرآني المذهل بين الآيات التي كونت محورًا من محاور السورة القرآنية، والإحكام القرآني المدهش بين محاور السور، والموضوع القرآني الذي أنتجه إحكام الآيات والمحاور لتسورها السورة بسورها حتى جاءت كل آيةٍ وكل محورٍ في مكانه الذي ينبغي ألا يتقدمه ولا يتأخر عنه.

---

[1] ينظر المطلب الأول من المبحث الأول.

فالذي يميز بحثنا عن الدراسات السابقة أن كل تلك الدراسات – على تفاوت بينها– وظفت (اتصال النظم القرآني) لإظهار وجوه الإعجاز البياني والبلاغي للسورة بعمومها والتأكيد على الوحدة الموضوعية لها، في حين أن هذا البحث يدور حول المقاصد المعنوية التي لأجلها سوِّرت السورة حتى أضحت معجزة قرآنية، فضلًا عن المنحى التأصيلي التقعيدي لمصطلح (تسوير السورة) الذي غلب على هذا البحث، وما اختص به من معالجة ونمذجة تطبيقية للمصطلح ومتعلقاته على سورة النساء.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

المقدمة: وتضمنت: أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات والجهود السابقة، وهيكلة البحث وتقسيمه.

المبحث الأول: (تسوير السورة) إعجازٌ لفظيٌّ ومعنويٌّ فريد:

المطلب الأول: غياب (التسوير المعنوي) والطعن المفتعل والتفكك المدَّعى.

المطلب الثاني: تسوير السورة القرآنية نظامٌ قرآني قلده أهل الكتاب.

المطلب الثالث: المجد الذي يكتنزه مكوِّنا نظام التسوير المعنوي: الآيات والسُوَر.

المطلب الرابع: الوجه الإعجازي المبتكر لنظام التسوير المعنوي.

المطلب الخامس: إشارات المؤسسين لعلم (التسوير المعنوي).

المطلب السادس: البناء المنطقي للسورة، وغيث المعاني المنهمر.

المطلب السابع: اسم السورة القرآنية (الرمزية المثيرة) نوعٌ من البيِّنات القرآنية المبهرة.

المطلب الثامن: (عمود السورة) بين شخصيتها المتميزة، والعنونة العامة.

المبحث الثاني: المعايير الستة المحددة لموضوع السورة (دراسة تطبيقية على سورة النساء):

المعيار الأول: السياق التاريخي لنزولها.

المعيار الثاني: الترتيب المصحفي.

المعيار الثالث: اسم سورة (النساء)، وعلاقته بموضوعها الكلي.

المعيار الرابع: أهم الموضوعات العامة في السورة:

المعيار الخامس: مدد السابقين في تحديد موضوع السورة.

المعيار السادس: الخريطة البيانية للسورة التي تكون الصورة الكلية لها:

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.

قائمة مصادر البحث ومراجعه.

وهذا أوان الشروع فيما هدف البحث إلى معالجته من تقرير مصطلح (تسوير السورة)، وتبيين ملامحه، ومعالم إعجاز النص القرآني من خلاله، وتطبيق ضيائه على سورة النساء:

المبحث الأول

(تسوير السورة) إعجازٌ لفظيٌّ ومعنويٌّ فريد

سأتطرق في هذا المبحث للخلفية النظرية المتعلقة بعلم (تسوير السورة)، وأثره في تقديم وجه إعجاز قرآني فريد، بالإضافة إلى تتبع جهود السابقين في التأصيل لهذا المصطلح، وعلاقة ذلك بعمودها ومحورها التي تدور حوله، واسمها الذي يكتنز دلالاتها ومقاصدها.

المطلب الأول: غياب (التسوير المعنوي) والطعن المفتعل والتفكك المدَّعى:

غيَّرَ النزول القرآني العالم إلا أنه لغياب إظهار التميز في (تسوير القرآن) شكا بعضٌ من غير المسلمين من محاولتهم لفهم القرآن، وعزَّز ذلك الترجمة السيئة، والاعتقاد المسبق أن القرآن تأليف محمدي، **فتوماس كارلايل** على الرغم من إعجابه بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال: "الترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة، وحسن الصياغة، ولذلك لا عجب إذا قلت: إن الأوروبي يجد في قراءة القرآن أكبر عناء، فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد، ولا يزال يقطع في صفحاتها قفارًا من القول الممل المتعب، ويحمل على ذهنه هضابًا وجبالاً من الكلِم لكي يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة"[1]، ويظهر أنه كان ضحية لترجمة سيئة، **أما (مونتغمري وات)** فيصف في تهور شديد القرآن المجيد بأنه غير منهجي أو غير منتظم؛ لأنه يفتقر إلى الاستمرارية في التركيب في أي سردٍ مطول[2]،ويقول **(جاك بيرك) أحد المفكّرين الفرنسيّين** المتخصّصين في دراسة القرآن في القرن العشرين: "إنّ أولئك الذين يقرؤون القرآن دونما إعدادٍ مسبق يجدون أنفسهم مشوشين بسبب إسهابه؛ إذ ينتقل الحديث من موضوع إلى آخر دونما تتابع أو اكتمال، وتتكرّر الموضوعات والأفكار الرئيسة نفسُها هنا وهناك دونما انتظامٍ ملحوظ"(3).

لعل من أهم أسباب هذه الآراء المفاجئة غياب إدراك العلاقات بين آيات القرآن التي تتتابع موضوعاتها، وتختلط فيما بينها دون أيّ منطقٍ، أو اتّساقٍ ظاهر؛ إذ ربما تعجب بعضهم عند قراءة القرآن دون تدبرٍ، فقال: لماذا بُعثرت قصة آدم عليه السلام في سور البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف وص؟ لماذا تشابهت فصارت مثاني في كثيرٍ من ألفاظها ومعانيها، وفُرّقت في السور؟ لماذا اختلفت بعض

---

(1) ينظر: توماس كارلايل، محمد المثل الأعلى، ترجمة: محمد السباعي، دراسة وتقديم: د. محمود النجيري، (مصر: دار طيبة، 2008م)، ط1، ص:103.

(2) Mustansir Mir, 'The Coherence of the Qur'an (Indianapolice, American Trust Publication, 1986), p.2.

(3) ميشيل كويبرس، (في نظم سورة المائدة) نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغيّ، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، (بيروت: دار المشرق، 2014م)، ص:12، وهو قد قام في هذا الكتاب بمحاولة لافتة لبيان الإحكام والترابط في القرآن الكريم، مع اختلاف النسق العام بين عملي وما كتبه.

ألفاظها ومعانيها في هذه السور؟ أما كان يمكن أن تُجمع في مكانٍ واحدٍ على هيئة موضوعية؟ ويوردون السؤال ذلك في بقية القصص والموضوعات.

لعل السكينة تتنزل عليهم عندما يلمحون الوجه الفريد لعلم "التسوير القرآني"، وهناك سيجدون –إن ذهب عنهم العناد– في آخر الأمر ما وجده الإنجليزي آرثر آربيري حينما شعر بقوة الإحكام في السورة القرآنية؛ فقد صدرت ترجمته الإنجليزية للقرآن في عام1955، وتتبع د/محمد عبد الحليم منهجه في الترجمة، فرأى فيه منهجية تدل على نفسية متواضعة؛ إذ اختار عنوانًا معبرًا لترجمته، وهو: "القرآن مفسَّرًا/مؤولًا" (*The Koran Interpreted*).

يرى د/عبد الحليم أن آربيري أقبل على القرآن متحررًا من كثير من القوالب الجاهزة والأحكام المسبقة التي اعتبرته أشتاتا متراكمة ومقاطع متراكبة لا جامع موضوعي يربطها، ولا معيار منطقي يحكمها، فاجتهد في تفهم خصائصه اللغوية والأسلوبية وطرائقه البلاغية التي اصطبغ مها خطابه، وتلون بها أداؤه لرسالته، سعيًا إلى إبراز أن كل سورة من سوره "وحدة فنية متكاملة، وأن ما يبدو فيها من أجزاء متنافرة يشكل نمطًا ثريًّا بديعًا" [1].

إن تساؤلات كالتي سبقت جديرة بأن يتم التوقف عندها مليًا ومعالجة ما تضمنته من تشغيبات –بقصد أو بغير قصد– على سلاسة النص القرآني، ومحكم بنائه اللفظي والمعنوي، وتوفر قوة السبك والحبك على سياقه القريب والبعيد، ولعل علم (تسوير السورة) هو المدخل لمناقشة هذه الفكرة وتفنيد عوارها من جهة، ولإبراز عظمة إعجاز النص القرآني وإحكام بنائه من جهة أخرى، ولإبراز دوره في تجلية هذا الإعجاز القرآني الفريد ننتقل إلى المطلب التالي.

---

[1] م. ط. الميساوي، مراجعة كتاب استكشاف القرآن: السياق والتأثير، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر 1440هـ/2019م ، المجلد 36، العدد 2، ص: 156.

المطلب الثاني: تسوير السورة القرآنية نظامٌ قرآني قلده أهل الكتاب:

لم يُسَمِّ اللهﷻمنزلُ القرآن الفصول التي تكوَّن منها القرآن المجيد فصولًا، ولا أبوابًا، ولا موضوعات بل سماها سورًا، ففي تقسيمٍ فريدٍ لا سابق له في الحضارات البشرية يُنزل الله بيانه الخاتم القرآن المجيد مؤلفًا من أربع عشرة ومائة سورة، وكل سورة تتكون من مجموعة من الآيات، ولا تجد ذكرًا لتقسيمٍ مشابهٍ في الكتب السابقة، ولم يستخدم أهل الكتاب مصطلح السورة ولا مصطلح آية، إلا أن الله عندما يذكر آيات كتبه ومنها التوراة والإنجيل يصف فقراتها بأنها آيات، وقد كان الكتابيون يجدون صعوبة كبيرة عندما يريدون تحديد مكان اقتباس في الكتاب المقدس، فهل تأثروا بالنظام الإلهي القرآني الذي قسم القرآن المجيد إلى آيات وسور؟

لعلهم لما رأوا المجدَ الذي يلوح من تسمية الجملة المعينة (آيةً) استخدموا هذا المصطلح القرآني مؤخرًا، ثم قسموا كتابهم المقدس إلى إصحاحات على غرار السور القرآنية، والكاهن الإنكليزي ستيفان لانغتون الذي أصبح لاحقًا رئيس أساقفة كانتربري هو من أضاف الإصحاحات إلى كتابهم المقدس في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي حين كان أستاذًا في جامعة باريس بفرنسا[1]، وكرّس سانتيس بانينو الراهب الدومينيكاني 25 سنة من حياته لترجمة الكتاب المقدس الذي صدر في العام 1527م، وكان أوّل من قسّم النص الى آيات مُرقمة[2]، وفي العام 1551م قسم العالِم الفرنسي روبير إتيان الإصحاحات إلى أعداد كما تعرف اليوم تقريبًا[3].

لكن الذي يلفت نظر العالم أن رجلًا أميًّا هو محمد صلى الله عليه وسلم **ظهر في القرن السابع الميلادي، وأخبر عن نفسه بأنه نبي مع اعترافه بأنه ليس بقارئ يخبرنا بأن اللهﷻأنزل عليه البيان الإلهي الخاتم**، وأخبرنا بدقة شديدة عن تقسيم هذا الكتاب الإلهي إلى (أربع عشرة ومائة سورة)، ونقل لأصحابه رضي الله عنهم ثم للعالم موضع آيات كل سورة حتى عرفوا عدد آياتها[4].

---

[1] ينظر: رمزي البعلبكي، معجم أعلام المورد، (بيروت: دار العلم للملايين، 1992م)، ط1، ص:386.

[2] مقالة منشورة على الشبكة الإلكترونية تحت عنوان (من قسم الإنجيل إلى فصول وآيات؟)، موقع (الاتحاد الكاثوليكي للصحافة–لبنان)، www.ucipliban.org 2016/4/1م.

[3] المصدر السابق.

[4] وإنك لتجد في التوراة والإنجيل ذكرًا لهذا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم الذي يقرأ مع أنه لا يعرف الكتابة، ففي سفر أشعياء:"29: 12 ثم يناول الكتاب لمن لا يعرف القراءة، ويقال له: ((اقرأ هذا))، فيقول: ((لا أعرف القراءة))، وهذا في الترجمة اليسوعية، ويظهر أن ترجمات أخرى تلاعبت بالنص، فأوردته على النحو الآتي: "أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول لا أعرف الكتابة". انظر: أنطونيوس فكري، سفر أشعياء، (مشروع الكنوز القبطية)،ص:162. فقلِّب الطرف في التواريخ كلها لتجد أن هذه القصة لم يقع مثلها إلا مع النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه الملك جبريل عليه السلام في غار حراء ((فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ)) حتى أقرأه القرآن ليحفظه في صدره وهو لا يعرف الكتابة صلى الله عليه وسلم ، وصار صدره حاملًا لآخر بيانٍ إلهي أنزله الله على البشرية.

المطلب الثالث: المجد الذي يكتنزه مكوِّنا نظام التسوير المعنوي: الآيات والسُوَر:

آيات:

جمع آية[1]، وسمَّى الله ما أنزله من الوحي في القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية آيات؛ لأن هذه الكلمة جمعت عددًا من الخصائص التي تميز كلام اللهﷻ:

الخَصيصَة الأولى: أنها علاماتٌ بارزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى مراد الله في تنظيم الحياة البشرية:

فالآية العلامة الظاهرة والأمارة الواضحة، كما قَالَ النَّابِغَةُ:

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ [2]

وقال يزيد بن عمرو بن الصعق:

أَلَا أَبْلِغْ لديكَ بني تَمِيمٍ بآيةِ ما تُحِبُّونَ الطَعَامَا [3]

والآية: الشيء الظاهر، ومن هنا قيل للبناء العالي آية: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون} [الشعراء:128]؛ لأنه واضحٌ بارز ظاهر.

الخَصيصَة الثانية: أنها ترتقي من كونها علامة إلى كونها حجة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم:

فمُعْجِزَات الرَّسُولِ تسمى آيَات كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: {فِي تِسْعِ آياتٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ} [النَّمْل: 12]، وقَالَ الْحَارِثُ ابْن حِلِّزَةَ:

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ من الْخَيْر آيَا ت ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ الْقَضَاءُ [4]

---

[1] ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، 1399هـ-1979م) ج:1، ص:168، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، 1412هـ)، ط1، ص:102، محمّد بن محمّد مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، ج:37، ص:122، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م) ج:1، ص:463.

[2] الآيات أراد بها هنا علامات دالة على الديار، واللام في (لستة) بمعنى بعد، أي: بعد ستة أعوام، وتوهمت: تفرست، والمعنى: توهمت علامات لهذه الديار وسكانها؛ من الأثافي، وغيرها فعرفتها بعد مرور ستة أعوم على تركها، وهذا العام الذي أنا فيه هو السابع. ينظر: الحسن بن عبد الله، العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، 1419هـ)، ص:48.

[3] البيت من الهجاء، ومعنى الآية في البيت: العلامة، كأن الشاعر قال يهجو بني تميم: بعلامة حبكم للطعام. وبنو تميم يُعيَّرون بشدة المحبة للطعامْ والحرص عليه. ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ-1996م)، ط1، ج:7، ص:42.

[4] البيت من الفخر، وقصد الشاعر بالآيات الثلاث: العلامات الثلاث. يقول: نحن أنصح الناس للملك وأكرمهم عليه، وأجودهم منه منزلة ومكانا. (في كلهن القضاء) معناه في كلهن. ينظر: حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَنِي، شرح المعلقات السبع، (دار احياء التراث العربي، 1423هـ-2002 م)، ط1، ص:269.

الخَصيصَة الثالثة: الآية تقوم مقام الجماعة من الأدلة على إثبات النبوة:

فمن معانيها في العربية: الجماعة كما قال برج بن مسهر:

خَرَجْنَا من النقبينِ لا حيَّ مثلنا بآيَتِنا نُزْجِي المطِيَّ المطَافَلَا[1]

وهذا المعنى أفضل من قولهم آية القرآن؛ لأنها جماعة حروف؛ إذ كل كلمة أو جملة فهي جماعة حروف أيضًا.

الخَصيصَة الرابعة: أنها عبرة تذكر الأفراد والأمم بالهدى الذي ينبغي أن يتبعوه قبل أن يقعوا فيما يدمروا به حياتهم:

فالآية العبرة كَمَا قالَﷻ: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِين} [يوسف: 7] أَي أُمورٌ وعِبَرٌ مُخْتلِفَةٌ.

تعريف الآية اصطلاحًا:

طائفةٌ من القرآن تتكون من جملة فصاعدًا ولو تقديرًا ذات مطلعٍ ومقطع مندرجة في سورة [2].

وقولهم: (تقديراً) يعنون به مثل قولهﷻ: {مُدْهَامَّتَانِ} [الرحمن:64]؛ إذ تقديرها: (هما مدهامَّتان).

السُّوَرُ:

جمع (سورة) [3] كما الغُرْفَة جمعها الغرف، واختار الله أن يسمي المجموعة من الآيات سورةً؛ لعدة خصائص تلمحها من هذه التسمية الفريدة:

الخَصيصَة الأولى: المنزلة الرفيعة للسورة:

فهذا أحد معانيها اللغوية، ومن ذلك قول النّابِغَةُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعطاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ[4]

أَي شَرَفًا ورِفْعَة.

---

[1] أحمد بن عبد الله المعري، شرح ديوان المتنبي، تحقق: محمد سعيد المولوي، (المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1429هـ-2008م)، ط1، ص:613.

[2] ينظر: محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376 هـ-195:7م) ط1، ج: 1، ص: 266، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م)، ج: 1، ص: 230.

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، ج:3، ص:115،الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص:434،الزَّبيدي، تاج العروس،ج:12، ص:101.

[4] البيت من المديح، بل قال بعضهم هو أمدح بيت قالته العرب، فالشاعر قصد إلى تفضيل الملك الممدوح على الملوك، والمعنى: أن الله أعطاك (سورة) أي: منزلة رفيعة، ترى (كُلَّ مَلْكٍ) من الملوك (دونها يَتَذَبْذَبُ) أي: يضطرب فلا يصل إليها ولا يبلغها. ينظر: العسكري، الصناعتين، ص:75، الحسن بن عبد الله العسكري، ديوان المعاني، (لبنان: بيروت، دار الجيل)، ج: 1، ص: 16.

كما أن قولهم: "سَارَ يَسُورُ إِذَا غَضِبَ وَثَارَ" يقرب من هذا المعنى فإنه يريد بسورته أن يرفع نفسه، وَإِنَّ لِغَضَبِهِ لَسَوْرَةً، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاَةِ[1].

الخَصيصَة الثانية: أنها كاملة متكاملة بما تحويه من الآيات:

وأرانا هذا المعنى أن السُّور حائِطُ المدِينَةِ المُشْتَمِلُ عَلَيْهَا، كما قَالَ الله تعالى: {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ} [الْحَدِيد: 13]، فالسورة سور للآيات التي فيها.

الخَصيصَة الثالثة: أنها منزلة يعقبها منزلة من بناء متكامل هو القرآن المجيد:

فالسُورَة أيضًا كُلُّ مَنْزِلَةٍ مِنَ الْبِنَاءِ كما قال العجاج:

وَرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورِ... سُرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ[2]

وقال جَرِير يهجُو ابنَ جُرْمُوز:

لمّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المدِينَةِ والجِبَالُ الخُشَّعُ[3]

فهي منزلة تعقبها منزلة أخرى وتسبقها منزلة، مع تمايز كل منزلة عن غيرها، ومجموعها يُكَوِّن القرآن العظيم، وعلى الرغم من أن الله أنزل القرآن شيئًا بعد شيء إلا أنه فصله بهذه الصورة المدهشة، فلم تتداخل آياته، ونقل الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم آيات كل سورة يميزون بادئتها، وخاتمتها من الفاتحة إلى الناس.

الخَصيصَة الرابعة: هي دَرَجَةٌ إلى المعرفة القرآنية التي تصف لك واقع الخلق الكوني، وتصبغ الكون بصبغة الله:

فهي مشتقة أيضًا مما طالَ من البِنَاءِ وحَسُنَ.

السورة اصطلاحًا:

عرفها الزركشي فقال: «قُرْآنٌ يَشْتَمِلُ عَلَى آيٍ ذَوَاتِ فَاتِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ، وَأَقَلُّهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ»[4].

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، ج:6، ص:227، برقم 4992.

[2] البيت من الحماسة، يخبر الشاعر عنه نفسه أنه ربما قصد إلى (ذِي سُرَادِقٍ) أي: ملك، (مَحْجُورٍ) أي: محصور محاط بمن يحرسه، (سُرْتُ إِلَيْهِ) أي: نهضت وارتفعت، (إليه فِي أَعَالِي السُّورِ) فقهرته. ينظر: محمد بن يزيد المبرد، التعازي، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، (مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع) ص:133، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي، عبد الرحمن بن يحيى اليماني، (الهند: حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1368هـ، 1949م)، ط1، ج: 1، ص: 475.

[3] يريد الشاعر أنه لما أتى خبر قتل الزبير بن العوام (تواضعت) أي وقعت على الأرض، و(الخشع) التي قد لصقت بالأرض. ينظر: محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1417هـ-1997م)، ط3، ج:2، ص:105، يوسف بن أبي سعيد السيرافي، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد (مصر: القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1394هـ -1974م)، ج: 1، ص: 44.

[4] ينظر: الزركشي، البرهان، ج: 1، ص: 264، السيوطي، الإتقان، ج: 1، ص: 186.

المطلب الرابع: الوجه الإعجازي المبتكر لنظام التسوير المعنوي:

من أهم أهداف التسوير القرآني:

تُظْهِرُ خصائص السورة والآية والترتيب المصحفي الفريد لسور القرآن وآياته دونما اعتمادٍ للمنهج التاريخي أو الموضوعي المباشر على أهدافًا أبرزها:

الهدف الأول: (التسوير المعنوي) بإبراز موضوع أو موضوعات كلية للسورة يقوم على التدبر:

التسوير يعني اختصاص السورة بمعانٍ خاصة، أو موضوعات محددة، وموضوع كلي يميزها عن غيرها، كما يعني امتيازًا خاصًا بهذه الآيات حتى لو رأيت تلك الآيات مثاني في سورٍ أخرى، فإن لإيرادها في كل سورة هدفًا متناسقًا مع محاور السورة ومقاصدها، وهنا يبرز لك جانبٌ من الإعجاز المعنوي المدهش:

فقد ذكر علماؤنا أنواعًا من الإعجاز القرآني، واهتم كثيرٌ منهم بالإعجاز البلاغي أو البياني، وإن من التطفيف في الميزان أَنْ يُجْعَلَ الإعجاز البياني متعلقًا باللفظ واجتهدنا في إثباته وإظهاره مع أنه وعاء للمعنى.. نعم ذكر الجهابذة الإعجاز المعنوي، وأدخلوا فيه: الإعجاز التشريعي، والتربوي، والإصلاحي، والغيبي، والعلمي.. لكن الإعجاز المعنوي المنبثق من (تسوير السورة) لم يأخذ نصيبه حتى ممن كتب في علم المناسبات، و**لاحظ الإمام الطيبي رحمه الله أن من منابع الإعجاز البحث عن سبب (تسوير السورة) فقال: "ولهذا السر كان التحدي بالسورة وإن كانت قصيرة، دون الآيات وإن كانت ذوات عدد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل"** [1].

فـ(تسوير السورة) مصطلح مبتكر يبرز العلاقات الجزئية والكلية التي لأجلها سُوِّرت هذه الآيات في فصلٍ واحد سُمِّيَ "سورة"، ويستكشف الخريطة الكلية لهذه السورة وصولًا إلى الموضوع الكلي لها، وفيه يتجلى تماسك النظم وإحكام السياق القرآني القريب والبعيد الداخلي والخارجي حتى تظهر كبناء واحد متماسك، وشخصية مكتملة الملامح، ولعلك تجد نتفًا من التأسيس لهذه المنهجية وتطبيقاتها في الثروة التفسيرية التي بين أيدينا، وبالتتبع لنشأة المصطلح نجد أن الزركشي أشار إلى مصطلح التسوير، فقال: "وَفِي تَسْوِيرِ السُّورَةِ تَحْقِيقٌ لِكَوْنِ السُّورَةِ بِمُجَرَّدِهَا مُعْجِزَةً وَآيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُوِّرَتِ السُّوَرُ طِوَالًا وَقِصَارًا وَأَوْسَاطًا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الطُّولَ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِعْجَازِ" [2].

---

[1] الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: إياد محمد الغوج وآخرين، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 1434هـ-2013م)، ط1، ج:7، ص:54.

(2) الزركشي، البرهان، ج:1، ص:264، وعن الزركشي نقل السيوطي في الإتقان، وابن عقيلة المكي في الزيادة والإحسان، والزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن، وأبو شُهبة في «المدخل لدراسة القرآن الكريم»، وفهد الرومي في دراسات في علوم القرآن الكريم (ينظر:

ويمكننا القول مستحضرين لما تم تقريره عند التعرض للدراسات السابقة: إن علم (تسوير السورة) يعد خطوة متقدمة ومبتكرة في توظيف (علم اتصال النظم القرآني) وإنضاجه.

الهدف الثاني: إنتاج عدة مستوياتٍ لفهم النص:

مما ميز النص القرآني بجعله ميسرًا للأمي وفق مقدرته الثقافية، كما مَكَّن العالم الراسخ من أن يستنبط من النص ذاته المبادئ والمفاهيم المذهلة في بناء الحياة، وذلك بإعمال العقل البشري في تدبر كلام الله ﷻ.. إن مستويات البيان القرآني تظهر في آياته كما تظهر في سوره التي انتظمت كلماته:

كالدر يزداد حسنًا وهو منتظمٌ وليس ينقص قدرًا غير منتظم

ففصلُ الخطاب –كما يقول ولي الدين الملوي–**أن آياتِ القرآن "جاءت عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلًا، وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا وَتَأْصِيلًا"**[1]، ويمنحنا الفكر التيمي نورًا في التدبر القرآني: "فَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ، وَمَا بَعْدَهَا... تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ، وَعَرَفَ الْهُدَى وَالرِّسَالَةَ، وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنْ الِانْحِرَافِ وَالِاعْوِجَاجِ"[2].

فـ**(هذا النظم الفريد) يقدم لنا مستوياتٍ متعددةً في فهم النص القرآني** وفق منهجية أصول التفسير؛ بل إن هذا الوجه يعد من أهم وجوه الإعجاز القرآني؛ **إذ إن القرآن ألفاظٌ محصورةٌ، وكلمٌ معدودةٌ لكنها رُتِّبت ترتيبًا خاصًا، ونُظِمَتْ نظمًا محكمًا لتستوعب من المعاني ما ليس في طوق البشر**[3]..وبذا يتمهد الطريق لمعرفة تفصيل المقاصد الغائية للتنزيل القرآني التي أُجمِلت في قوله ﷻ: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل:89].

المطلب الخامس: إشارات المؤسسين لعلم (التسوير المعنوي):

تجد الكلام عند المؤسسين مبثوثًا عن علم المناسبات لا عن التسوير المعنوي غالبًا، ومن أبرزهم: الطبري (ت310هـ)[4]، والقفال الشاشي (ت365هـ) الذي قال عنه الرازي: «كَانَ حَسَنَ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ دَقِيقَ النَّظَرِ فِي تَأْوِيلَاتِ الْأَلْفَاظِ»، ونبغ من بعدهم عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) المشهور

السيوطي، الإتقان، ج:1، ص:229، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط3، ج:1، ص:351، محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبه السنة،1423هـ-2003م)، ط2، ص:318، فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، (1424هـ-2003م)، ط12، ص:113.

(1) انظر: الزركشي، البرهان، ج:1، ص:37، السيوطي، الإتقان،ج:3، ج:370.

(2) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م)، ج:15، ص:94.

(3) أشار عبد القاهر الجرجاني إلى نحوِ ذلك في وجه الإعجاز القرآني في تدبرٍ آسِرٍ. انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:40.

(4) انظر مثلًا: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مصر: دار المعارف، 1420هـ-2000م)، ط1،ج:9، ص:225.

بنظريته في النظم القرآني، والزمخشري ت(ت538هـ)، وابن العربي(ت543هـ)، ثم لمع برق الفخر الرازي (ت606هـ)، فكان من أعظم مظهري علم الاتصال القرآني[1]، وأثَّر تأثيرًا ضخمًا في المتأخرين، وتجد (دراز) –رحمه الله– يجعل الرازي أساسًا فيما أدهش به في "النبأ العظيم"، فمن تقعيدات الرازي قوله: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة...علم أن القرآن معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه فهو أيضًا بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار...كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصارُ صورته فالذنب للطرف لا للنجم في الصغر"[2]

وألف (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبيرت708هـ): (البرهان في تناسب سور القرآن)، و(ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من التنزيل).

ثم ظهر الجهد الإبداعي للإمام البقاعي(ت885هـ) فتوصل إلى أنواع متعددة من الاتصال مثل: الاتصال الخطي، والدائري، والمقاصدي باتصال الموضوعات المتداخلة في السورة الواحدة، وأثر اسم السورة في موضوعاتها المتعددة، وألف لذلك كتابه: مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، وذكر أنه يُسَمَّى أيضًا: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى" وقرر فيه قاعدة عظيمة في الدلالات العلمية والعملية والحضارية التي يثيرها اسم السورة فقال: "من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيِها، وقصصها، وجميع أجزائها"[3]، وألف قبل ذلك كتابه الأم "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" فاختار الربط بكلمة (لَمَّا) بين كلمات الآية، وآيات السُوَر حتى ذكر اشتهار كتابه باسم كتاب (لما)، وأما أنا فبدا لي ترك هذا القيد؛ وأظهرت الاتصال القرآني بين أقسام المحاور، ومحاور السُوَر بصورة مباشرة بأن أُذَكِّر بالموضوع السابق لأربطه ربطًا منطقيًا باللاحق، فترى الارتباط ظاهرًا في العناوين المزدانة بكلماتٍ تومئ إلى سر موضع الآيات التي تسكن قلوبنا ببصائرها.

واستشعر البقاعي في اختصاره لنظم الدرر أنه ينبغي تسميه (علم الاتصال القرآني) (وعلم التسوير المعنوي) بما هو أقوى من علم (المناسبات)، ولكن لم يُهدَ لهذه التسمية المتميزة، فقال مقعدًا: "وعلم المناسبات الأعم من مناسبات القرآن وغيره: علمٌ تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه:

([1]) انظر مثلًا يأخذ الأنفاس عند تفسير [الحج ٧٣-٧٨]، محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ)، ط3، ج:23، ص:253.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 7، ص: 107.

[3] إبراهيم بن عمر البقاعي، مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، (الرياض: مكتبة المعارف،1408هـ-1987م)، ط1، ج:1، ص:149.

أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته: الاطلاع على الزينة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب"[1].

وطرح مبكرًا إشكالية التدليل على صحة التأويل في التدبر في علم التسوير، فقال: "وأمارة الصحة في هذا العلم: أنك إذا عرضته على العقول تلقته بالقبول، ولم يقدح فيه شيء من صحيح المنقول"[2]، وبين أهمية علم التسوير فقال: "وكانت نسبته من علم التفسير نسبةَ علم البيان من النحو؛ لأنه سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال، الذي هو للكلام كالروح بالنسبة إلى الجسد، يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين:

أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"[3].

وازداد الكلام عن نظام القرآن بعده، فكتب السيوطي(ت911هـ)، ومحمد رشيد رضا(1354هـ)، والفراهي(ت1349هـ) صاحب (نظام القرآن)، وسيد قطب(1385هـ)، ومحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، والمؤلفون في التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية دون تركيز على مصطلح "التسوير"، وهناك تقاطع كبير بينها.

إن كثيرًا من الأئمة المذكورين كان يميل إلى علم الاتصال الجزئي، وهو اتصال المفردات والجمل في الآية الواحدة، أو اتصال الآية بالآية، والرازي أظهر علم الاتصال المجموعي: مجموعة آيات مع مجموعة آيات، وحاول البقاعي إظهار المعالم الأولى لعلم التسوير المعنوي، ثم تفسير المنار، ثم بدأ يستوي الأمر على سوقه عند الفراهي، ولم تسعفه المنية لإكمال التطبيق، وقارب النضج عند سيد قطب –رحمهم الله جميعًا– ، وفي سلك تلك الأبحاث المتعددة التي تحاول إدراك الدلالات الموضوعية للسورة القرآنية نجد محاولات متعددة تترى تدور بين الكتب الموضوعة كالجهد الذي يقدمه الشيخ أحمد الوتارى، وبين الأبحاث الرصينة المحكمة كالبحث الذي قدمه أ.د/ محمد المجالي المنشور في مجلة البيان الماليزية حول (اسم (الرحمن) في القرآن، الدلالة والسياق: دراسة موضوعية)، وتعرض فيه لبناء سورة الرحمن[4].

([1]) إبراهيم بن عمر البقاعي، دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم، ص 2أ من نسخة مخطوطة السليمانية رقم 77، وهي قيد تحقيق أستاذنا أ.د/عبد الله الخطيب، وقد حباني بهذه الجواهر.

([2]) المرجع السابق ص2أ.

([3]) المرجع السابق ص2أ.

([4]) أ.د محمد المجالي، اسم (الرحمن) في القرآن، الدلالة والسياق: دراسة موضوعية، Al-Bayan: Journal of Qur'an and Hadith Studies، 23 Oct 2020، Volume 18: Issue 2، Pages: 201–226، https://brill.com/view/journals/jqhs/18/2/article-p201_5.xml

الفرق بينَ (علم تسوير السورة) و(علم الوحدة الموضوعيَّة للسورة):

يشترك (علم تسوير السورة) و(علم الوحدة الموضوعيَّة للسورة) في تطلب الفكرة الجامعة لشتات المواضيع المبثوثة في ثنايا آيات السورة، والبحث عن الموضوع الكلي، وينفرد (علم التسوير) بالاستقاء من مصطلحه القرآني الأصيل؛ كما أن الغالب على الكتابات في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية أن تتجه نحو التعميم في الموضوع الذي تختاره ليمثل السورة القرآنية، والاقتصار على الشعور الكلي بالترابط بين محاورها، بينما يقوم علم التسوير على قراءة التقسيم الذي ظهرت به محاور السورة (محوري للوصول إلى العمود) ثم استخلاص عمودها بصورة أولية، ثم العودة إلى التفسير التحليلي الجزئي لكل كلمة وحرف فيها لتطبيق العمود، ثم العودة مرة أخرى لصياغة المحاور العامة، والعمود الكلي الذي ينتظمها، فتتعدد المراحل بين الكلي والجزئي وصولًا إلى الإجابة على هذا السؤال الأساسي: لم سورت السورة بهذا الشكل؟ ولماذا اتخذ الاتصال الخطي والدائري في السورة هذا الترتيب في الآيات؟.

الصِّلَة بينَ (علم تسوير السورة) و(علم المناسبات):

(علم تسوير السورة) يعد إنضاجًا لعلم المناسبات ومرحلة متقدمة في سبيل بلورته واستقرار معالمه، ويتأثر كل منهما بالآخر ويؤثر فيه بصورة تجعل المتدبر والمفسر لا بد أن يذهب ويجيء بينهما ليصل إلى التقرير الأسد في معرفة بينات آيات السورة، فإن إدراك (عمود السورة) يؤدي إلى إظهار المناسبات بين آياتها بيسر، ولكن إدراك (العمود) والشعور بسبب تسوير السورة ينبغي أن يكون ثمرة للوصول إلى المناسبات التي تربط آياتها في ترتيبها المحدد في سورتها، وبعد أن تظهر المناسبات بين الآيات تلوح شموس الموضوعات التي تجليها آياتها، وهذه الموضوعات تشكل المحاور الكبرى للسورة، وكل محور يضم آية فأكثر، والمناسبات بين المحاور تهدي إلى الموضوع الكلي الجامع بينها الذي مال الفراهي إلى تسميته بعمود السورة، ثم ينعكس الأمر، فنعود إلى تطبيق تجليات العمود بين المحاور والآيات، وهل يظهر ذلك بيسر أم بتكلف، ويستعان في ذلك بحصيلة الجهد المعرفي المتراكم الذي عمل عليه فحول أهل الفن الذين قرروا مسائل (علم المناسبات) ومن ثم (علم النظم القرآني).

المطلب السادس: البناء المنطقي للسورة، وغيث المعاني المنهمر:

يتكون القرآن المجيد من أربع عشرة ومائة سورة، وكلُّها تسبحُ في فلكٍ واحدٍ يتلخص في مقاصدِ القرآن الكلية، ومحاورِه الشاملة الغائية مثل: التعريف بالخالق والكون وحياة الابتلاء في دارنا الأولى المعاشية وحياة الجزاء في دارنا الأخرى المعادية، أو يمكنك أن تقول بأنها تدور حول الإلهيات (التعريف بالله وصفاته وأفعاله، والنبوات، والمعاد، والتشريعات، وسبل العباد)، ولقد جعلتُ (مقاصد القرآن الكلية) أول علوم القرآن الكريم التي تؤدي إلى فهم الخطاب القرآني في كتابي (الأساس في أصول

التفسير)[1]، فالقرآن الكريم اشتمل على الكثير الطيب من مصالح المعاش والمعاد، وأحاط بمنافع الدنيا والدين {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38]، ويُمكنك أن تُرجِعَ هذه المقاصد إلى ما ذكره الرازي(606هـ): (الألوهية والنبوة والحشر والقدر) [2]،وتابعه بديع الزمان سعيد النورسي(ت1379هـ)إلا أنه جعل العدالة محل القدر[3]، وذهب الشوكاني(ت1250هـ) إلى أنها ثلاثة مقاصد:إثبات التوحيد، وإثبات المعاد، وإثبات النبوات[4].

لكن ذلك لا يعني ألا يكون لكل سورة شخصيتها المميزة التي لأجلها (سُوِّرت السورة)، وصارت علمًا على مُلْكٍ معرفي عظيم، فلكل سورة خصائصها المميزة، وأهدافها الخاصة: وعند النظر فيها نجدها –غالبًا– تنقسم إلى محاور متتابعة يؤدي السابق إلى اللاحق، ويسبقها مقدمة قد تكون آية واحدة أو أكثر، وقد تطول المقدمة كما في سورة البقرة، وقد تكون المقدمة جزءًا من آية كما في سورة المائدة على العدد الكوفي، وتنتهي السورة بخاتمة، وهناك تظهر الأمجاد صفوًا حيث يبرز التناسق المنطقي الحي بين المقدمة والمحاور والخاتمة بصورةٍ تنتج مستوياتٍ متعددةً من الفهم، وتثمر عالمًا من المعاني في غالب الأمر، وكثرة المعاني وكثافتها لا تمنع التسلسل المنطقي، كما أن التسلسل المنطقي لا يمنع السيل المنهمر من المعاني، وتصعب هنا مهمة المترجم لتلك العربية المبينة إلى لغة أخرى إلا أن يختار معنى يتجه إليه.

قد يبدو أن السورة بموضوعاتها المتنوعة المتعددة تُصَرَّف من كل مثل في آياتها دون رابط ناظم يجمعها إلا أن إعمال التدبر في مجموع نظمها الذي أوجب تسويرها يُظهِر شخصية مبهرة من التآلف والتكاتف والتراحم والدقة المدهشة التي من خلالها يؤدي كل جزء منها إلى الآخر، فيحتاج إلى ما قبلها كما يطلبه من بعده.. ومثل السورة في ذلك كمثل الشجرة التي تتكون من جذورٍ وساقٍ وأوراقٍ وثمار.. هل يُرَى شيءٌ منها يماثل الآخر؟! فإذا ما جُمِعَتْ بدا تآلف أجزائها في مشهدٍ آسِرٍ معجب لجمالها وكمالها. ذلك مثل السورة ومقدمتها وخاتمتها ومحاورها.

إن التوقف مليا أمام الشخصية المتميزة للسورة ليُجَلِّي البصائر التي تتدفق من مقدمتها وخاتمتها ومحاورها ويثير الإعجاب بجمال المناظر الخاطفة للقلوب، وهيبة المشاهد الآسرة للأفكار، وهذا ما جعل بعض المحققين يقول: "وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق: فمن نظم فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى لفظ معبر، إلى تعبير مصوِّر، إلى

---

[1]ينظر: عبد السلام مقبل المجيدي، الأساس في أصول التفسير، ط3، ص:64.

[2]محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب ج:2، ص:259.

[3]ينظر: بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر للنشر،2002م)، ط3، ص:53.

[4]محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الثقات، تحقيق: جماعة من العلماء، (لبنان: دار الكتب العلمية،1404هـ-1984م)، ط1، ص:4.

تعبير مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى موسيقى منغمة، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى توافق في الموسيقى، إلى افتنان في الإخراج، وبهذا كله يتم الإبداع، ويتحقق الإعجاز"[1].

وبسبب التدفق الإيجابي المدهش للمعاني في كثيرٍ من الآيات تبدو عددٌ من الموضوعات التي تعالجها السورة، فحينها تختلف آراء المتدبرين في تحديد الموضوع الرئيس الذي ميز كل سورة، لكن ذلك لا يعني ألا وجود لشخصية مميزة لهذه السورة دون غيرها، بل إن المحاور تتكامل في تناسق مدهش كما يظهر الانتقال منطقيًا منضبطًا من محور إلى آخر، ومن قسمٍ إلى آخر ضمن المحاور، ولقد عبَّر سيد – رحمه الله– عن ذلك فرأى أن السورة: "كالكائن الحي الذي تجده مميَّزًا في سماته وملامحه، وهو– مع هذا– واحد من جنسه على العموم! ونحن نرى في هذه السورة– ونكاد نحس– أنها كائن حي، يستهدف غرضًا معينًا، ويجهد له، ويتوخى تحقيقه بشتى الوسائل.. والفقرات والآيات والكلمات في السورة، هي الوسائل التي تبلغ بها ما تريد! ومن ثم نستشعر تجاهها– كما نستشعر تجاه كل سورة من سور هذا القرآن– إحساس التعاطف والتجاوب مع الكائن الحي، المعروف السمات، المميز الملامح، صاحب القصد والوجهة، وصاحب الحياة والحركة، وصاحب الحس والشعور!"[2].

المطلب السابع: اسم السورة القرآنية (الرمزية المثيرة) نوعٌ من البيِّنات القرآنية المبهرة:

هل تسميات السور توقيفية أم اجتهادية؟

هذه مسألة مطروقة معهود تناولها لدى من كتب في علوم القرآن، ويمكن رد الخلاف فيها إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن أسماء السور اجتهادية، وقد أشار الزركشي إلى هذا القول ولم ينسبه لأحد مع استبعاده له، وصرح السيوطي بضعفه، ورجحه بعض المعاصرين[3]، ومما يذكر في الانتصار لهذا القول –على ضعفه –:

أولا–لم يرد نصّ بتسمية كلّ سورة من سور القرآن باسم يخصّها، إنّما وردت أحاديث كثيرة في تسمية كثير من السّور، كالفاتحة والبقرة وآل عمران، وغيرها، ولم يحفظ ذلك في كلّ السّور.

ثانيا–ما نقل أن بعض الصحابة والتابعين قد أطلقوا بعض الأسماء على بعض السور.

القول الثاني: أن السور التي وردت أسماؤها بطريق التوقيف فتسميتها توقيفية، وما لم يبلغنا في اسمها توقيف فلا يقال فيها بالتوقيف[1].

---

[1] سيد قطب، التَّصْوِير الفني فِي الْقُرْآن، (القاهرة: دَار الشروق، 1980م)، ط 6، ص:116.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق،1425هـ–2004م)، ط34، ج:1، ص:555.

[3] ينظر: عبد الله الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، (بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز، 1422 هـ – 2001م)، ط1، ص: 136.

القول الثالث: الذي ذهب إليه أكثر العلماء أن أسماء سور القرآن كلها توقيفية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد نقل الصحابة أسماءها في أحاديث مرفوعة أو موقوفة دون خلاف مثل: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والكهف، والمعوذات، والمرسلات، والسجدة، وبني إسرائيل، ومريم، وطه، والأنبياء، ولذا قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "لِسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2]، وقال الزركشي رحمه الله: "ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي، أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد"[3]، وقال السيوطي رحمه الله : "وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار"[4].

وقال سليمان البجيرمي –رحمه الله–: "أسماء السور وترتيبها وترتيب الآيات كل من هذه الثلاثة بتوقيف من النبيّ صلى الله عليه وسلم، أخبره جبريل –عليه السلام– بأنها هكذا في اللوح المحفوظ"[5]، وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله :"وأما أسماء السور فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحي"[6]، وخالف بعض المعاصرين[7] فزعم أنه لا يوجد دليل على توقيفية التسمية، وهذا ذهول شديد عن النظر في جزئيات الأدلة وكلياتها في هذه المسألة.

وعند النظر في أسماء السور القرآنية نجد أن كثيرًا منها لم تأت تسميتها على النسق الموضوعي، فلا تبدو الموضوعات الحيوية ظاهرة في أسماء السور إلا بصورةٍ محدودة، فمثلًا لا توجد سور تسمى (العبادات أو المعاملات أو الصلاة أو الزكاة أو السياسة أو الاقتصاد، أو السنن الكونية..) ونحو ذلك من الموضوعات، إلا في سورٍ محددة مثل سورة التوبة، والسور التي سميت بأسماء يوم القيامة كالحاقة والقارعة.

ولم تتخذ كثيرٌ من السور تسمياتٍ تاريخية، فلا نرى مثلًا سورة بداية التاريخ مثل سفر التكوين، ولا بداية الإسلام، ولا الهجرة، أو غير ذلك من الأحداث التاريخية الزمنية المتسلسلة إلا في مواضع محددة

---

(1) ينظر: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، (مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1423هـ – 2002م)، ج: 1، ص: 222)، ومساعد الطيار، المحرر في علوم القرآن، (السعودية: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، 1429هـ – 2008م)، ط2، ص: 169.

(2) الطبري، جامع البيان، ج:1، ص:100.

(3) الزركشي، البرهان، ج:1، ص:270.

(4) السيوطي، الإتقان ج:1، ص:186.

(5) سليمان بن محمد البُجَيْرَمِيّ، تحفة الحبيب على شرح الخطيب، (بيروت: دار الفكر، 1415هـ-1995م)، ج:2، ص:24.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:1، ص:90.

(7) أحمد البيلي، من بلاغة القرآن، (القاهرة: نهضه مصر، 2005م)، ص:175.

مثل سورة الفتح أو سورة النصر، بل لم تسمَّ سورة الأنفال باسم معركة (بدر) مع أنها تتكلم عنها منذ أول آية.

كما أن تسميات السور لم تأت على نسقٍ واضحٍ لأسماء الرموز الإسلامية المباشرة مثل: أسماء المسلمين من آل النبي صلى الله عليه وسلم، أو أسماء بقية صحابته- رضي الله عنهم- إلا ما ورد من تسميات السور بأسماء بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهنا تتوقف عند التسمية بـ(آل عمران) في السورة الثالثة مثلًا مع أنك لا تجد سورة (آل محمدٍ) عليهم الصلاة والسلام..

وهذا كله يدفع نحو تأملٍ واسع عميقٍ في الاختصاص، فقد تسمى السورة باسم نبي مثل سورة (هود) عليه السلام مع أن قصته من أقصر القصص في السورة إذا ما قورنت بقصة شعيب، ونوحٍ عليه السلام، **وهذا يجعلنا نقرر أن أسماء السور اتُّبِعَ فيها الأسلوب الرمزي المثير:**

فأكثر أسماء السور تمثل رموزًا واضحة تختزل قضايا بارزة ومتعددة ضمن السورة الواحدة، أو تشكل محورًا للقضايا المذكورة في السورة، ولعل من أسباب ذلك ما يأتي:

السبب الأول: التفرد المعنوي الذي تميز به الكلام الإلهي، فلم يأت على نسق أساليب التأليف البشرية المعتادة:

حيث ينتهي المرء من موضوع ليبدأ في موضوع بينما يُربَط قارئ القرآن الكريم بين الموضوعات المتعددة وفق بناء محكمٍ متماسك، ولكنه غير معتاد {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود:1]، فيكتنز الكلام الإلهي معانيَ يمكن استخراجها بالتدبر.

السبب الثاني: أن القرآن كتابٌ جمع بين خمسة مقاصد مجتمعة: الهداية والتربية والموعظة والتشريع والإعجاز:

ويتم استخراج ذلك كله بإعمال الاجتهاد البشري وفق مصادر التفسير المرعية من خلال التدبر والتفكر والتعقل، وليجمع القرآن بين تلك المقاصد المستعظمة اقتضى الأمر أن تكون فصولُه (سُوَرُه) على غير المعتاد من مؤلفات البشر وكتاباتهم وتراتيبهم، والهيئة التي جمعت بين كل تلك الأغراض هي الهيئة ظهرت بها السور القرآنية ترتيبًا وأسماء، واتباع الأسلوب الرمزي يثير لدى القارئ النابه الرغبة العارمة في الاستكشاف، والولع في المتابعة.

السبب الثالث: اسم السورة يفتح آفاقًا عظيمة في محاولة إدراك الموضوع الكلي لها، ويحتمل تعدد الموضوعات:

قرر البقاعي قاعدة عظيمة في الدلالات العلمية والعملية والحضارية التي يثيرها اسم السورة فقال: "من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها... فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل

دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"[1].

المطلب الثامن: "عمود السورة" بين شخصيتها المتميزة، والعنونة العامة:

عند البحث عن الموضوع الذي يكون الشخصية العامة للسورة (عمود السورة) يجب الحذر من العنونة العامة، وهذا من أهم مزايا هذا المنحى الذي أسلكه في التفسير؛ فإني وجدت عددًا من نبلاء الفضلاء الذين كتبوا في التفسير الموضوعي للسور يضعون عناوين عامة للسور، وهذه العناوين قابلة للتكرر نظرًا لعمومها، وعند ذلك لا يوجد لتسوير السورة بذاتها مبررٌ واضحٌ لوجود تلك المعاني وأحيانًا الألفاظ ذاتها في عددٍ من السور، ومثال ذلك: أنني أكملت تحرير ما أعان الله عليه من تدبر سورة النساء، وأثناء مراجعة مقدمتها، ثم عدت إلى كتاب التفسير الموضوعي الذي أشرف عليه رواد التفسير الموضوعي في جامعة الشارقة مع فريقٍ كبيرٍ من ذوي الاختصاص في التفسير، فوجدت محرر الجزء الخاص بسورة النساء مال إلى أن محور السورة (التوحيد الصحيح ومقوماته)[2]، ذلك حقٌّ لا ريب فيه، لكن ألا يُلَاحَظُ مدى عمومية هذا العنوان؟ ألا يصلح هذا العنوان ليكون في كثيرٍ من سور القرآن؟

أما أنا فلا أميل إلى جعل هذا العنوان العام موضوعًا يميز السورة بعد أن سُوِّرت بآياتها أو بعد أن سورتها آياتُها.

التدبر العام ثم التفسير التحليلي والفتح الإلهي شروط أساسية لمعرفة عمود السورة:

لا جرم أن يختلف المتدبرون في محاولة الوصول إلى "عمود السورة"، فإن ذلك من أصعب المجالات التدبرية، وإن لم يُولَ عنايةً فائقةً، ويُسْتَمَد من الله الفتح بما تُشرق معه نفسك فإنَّ القارئ سيقع أسيرًا لأن يجعل الموضوعَ أحدَ المقاصد العامة التي يدور حولها القرآن المجيد.

ولإدراك "عمود السورة" لا بد من معرفة تفسير السورة حرفًا حرفًا وكلمة كلمة مع مصابرة ثقيلة، ويترتب على ذلك أن تُرسَم الخريطة الكلية لها بصورة علمية دقيقة تنبع من صفات عقلية ونفسية قوية، لا من تدبُّرٍ أولي عابر، ويقرر ذلك البقاعي، فيقول: "وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويعرف مقصود السورة بالإحاطة بتفسيرها كلها، مع حدس قوي من ذهن حاد، بفكر ثاقب، وظن صائب، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة"[3].

---

[1] البقاعي، مصاعد النظر، ج:1، ص:149.

[2] مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (الإمارات: جامعة الشارقة، 1431هـ-2010م)، ط1، ج:2، ص:2.

[3] البقاعي، دلالة البرهان القويم، مخطوط ص2أ.

ولقد أصاب المحقق الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله حين قال: "اعلم أن تعيين "عمود السورة" هو إقليدٌ لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها"[1].

والتفسير التحليلي العميق طريق عظيم لعمود السورة بعيدًا عن العنونة العامة، لذا تجدني أختلف مع بحر العلوم ومعدن الذكاء الإمام أبي الفضل المشدالي الذي قعَّد لمعرفة المناسبات بناء على معرفة غرض السورة (عمودها) [2].

ولكن ذلك لا يكون؛ بل يظهر لك بادئ الرأي ملامح "العمود" ثم لا تبرح حتى تفسر السورة كلها وفق المراحل التي ذكرتها أول هذا البحث، ثم يبرز عندك عمودها كالبدر مستصحبًا تميز النظم القرآني عن النظم البشري.

وفي محاولتي لإدراك (العمود) الذي لأجله سورت السورة اعتمدت على ستة معايير علمية إضافة إلى ما سبق:

المعيار الأول: سياقها التاريخي: أي: متى ابتدأ نزول السورة؟ **والثاني: سياقها المصحفي الذي يتفرع عن علم اتصال النظم القرآني**، ونعني به موقعها حسب الترتيب المصحفي، **والثالث: اسم السورة، والرابع: الموضوعات العامة التي نراها بارزة في السورة، والخامس: مدد السابقين في تحديد موضوع السورة، والسادس: الخريطة البيانية للسورة التي تكون الصورة الكلية.**

---

[1] عبد الحميد الفراهي، دَلَائِل النظام، (الهند: الدائرة الحميدية،1388هـ)، ص:77.

[2] البقاعي، دلالة البرهان القويم مخطوط ص2ب.

السبيل القويم لإدراك الوجه الإعجازي للتسوير المعنوي
أسس اختيار عمود السورة
1 التدبر الكلي العام للسورة إجمالا مترتبة الآيات
2 التفسير التحليلي حرفا حرفا وكلمة كلمة مع المصابرة الثقيلة
3 النزول التاريخي
4 الترتيب المصحفي
5 اسم السورة المحدد
6 المواضيع الكبرى التي تضمها السورة
7 مدد السابقين في تعيين سبب تسوير السورة
8 الخريطة الكلية التي تظهر المحاور
9 طلب الفتح الإلهي مقترنا بالحدس القوي والذهن الحاد

المبحث الثاني: المعايير الستة المحددة لموضوع السورة
(دراسة تطبيقية على سورة النساء)

المعيار الأول: السياق التاريخي لنزولها:

نزلت سورة النساء في المدينة؛ وها هي عائشة- رضي الله عنها- تقرر ذلك، فتقول: (وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَهُ)[1]، ويريدون بنزول السورة نزول أولها، ثم إنها تتابع فربما نزل بعضها في آخر البعثة النبوية.

وعَدَّها بعضهم الثَّالِثَةَ وَالتِّسْعِينَ في الترتيب؛ إذ تجد في الرواية المشهورة الضعيفة عن ابْن عَبَّاسٍ ﷺفي ترتيب نزول السور أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بِالمدِينَةِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ الْأَنْفَالِ، ثُمَّ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةُ الْأَحْزَابِ، ثُمَّ الممْتَحَنَةِ، ثُمَّ النِّسَاءِ.

فهل الأمر كذلك؟

لا يظهر لي ذلك؛ فهذه الرواية ينبغي التحرز من التسليم بما فيها؛ لضعف إسنادها من جهة[2]، ولوجود تنافٍ بين بعض مضمونها والواقع التاريخي والموضوعي أحيانًا، وبذا فهي لا تكفي لتكوين صورةٍ واضحة المعالم تقربنا من الترتيب التاريخي لنزول السور؛ على أن عسر التحديد التاريخي التفصيلي الدقيق لنزول السور لا يعني عدم المعرفة الإجمالية بوقت نزول هذه السورة المباركة، فهذه المعرفة الإجمالية مفيدة جدًا كما أن الغشاوة النسبية على المعرفة التاريخية التفصيلية أكثر إفادة؛ إذ تُجبِرُ المرء على التدبر القرآني المتحرر أحيانًا من الملابسات التاريخية لترسل رسولًا منها يوحي بأن القرآن المجيد يجتاز الحدود الزمنية والشخصية (الزمكانية) ليكون منارًا للتطور البشري لكل المجتمعات في كل الأزمنة، وذلك لا يعني البتة عدم الإفادة من الواقع التاريخي لنزول السورة، فهو من أعظم المعينات على فهم كلماتها، وآياتها.

بدأ نزول هذه السورة في أواخر السنة الثالثة، أو أوائل السنة الرابعة على إثر غزوة أحد بقليل، فقد جاءت زوجة سعد بن الربيع، فقالت: يَا رَسُولَ اللهِ هَاتَانِ بْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قُتِلَ مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَدِ اسْتَفَاءَ عَمُّهُمَا مَالَهُمَا وَمِيرَاثَهُمَا كُلَّهُ، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا إِلاَّ أَخَذَهُ فَمَا تَرَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَوَ اللَّهِ مَا

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، 1422هـ)، ط1، ج:6، ص:228.

[2] ينظر: محمد بن أيوب بن الضريس، فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، تحقيق: غزوة بدير، (دمشق: دار الفكر، 1408هـ-1987م)، ط1، ص:33، أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ)، ط1، ج:7، ص:144.

تُنْكَحَانِ أَبَدًا إِلاَّ وَلَهُمَا مَالٌ. فَقَالَ: ((يَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ)) فَنَزَلَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ، وَفِيهَا{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ}[1].

فانتصرت السورة للحقوق المادية لليتامى والنساء ضمن منظومة المواريث الإسلامية وفق تقنينٍ عادلٍ مدهشٍ يتكامل مع بقية مجالات الحياة ولم تصل إليه النظم الإنسانية إلى اليوم، ونزل بعد ذلك أو معه آيات تنظيم الأسرة ثم نزلت آيات الهجرة من أرض الظلم، وآيات استنقاذ المستضعفين، وخلال ذلك نزلت آيات الحوار مع أهل الكتاب: اليهود والنصارى، حوارًا يدور حول جوانب التعايش، والنقاش في القضايا الدينية، والاجتماعية، والفكرية، ويتضمن بيان الأخطاء والانتهاكات الضخمة التي سببها المحرفون للكتب السابقة، عسى أن تهتم الأمة الجديدة بعدم الوقوع فيما وقع فيه من قبلهم، واستمرت السورة في النزول؛ حتى نزل بعضها ضمن آخر ما نزل، كآية الكلالة الثانية، فعَنِ الْبَرَاءِ بن عازب ﷺ قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ}[2].

المعيار الثاني: الترتيب المصحفي:

سورة النساء هي الرابعة في الترتيب المصحفي بعد الفاتحة والبقرة وآل عمران، وترى الترتيب المصحفي القرآني منسجمًا متناغمًا بصورة مدهشة، وبالعودة إلى ما سبق سورة النساء من السور يتجلى المجد الثقافي عند تأمل موقع سورة النساء:

فبدأ بالفاتحة التي قدمت للعالم تعريفًا مدهشًا بالإسلام في اختصارٍ بديع، وحوت بكثافةٍ متميزة مقاصد القرآن الكريم، وجمعت المبادئ الدستورية الإسلامية، والمحكمات الضرورية التي يجب أن يعرفها كلُّ مسلمٍ.

وجاءت بعدها سورة البقرة؛ لتبين إشراق الحضارة الإسلامية على العالم، وتجعل التجربة الإسرائيلية في جانبها الإيجابي، والسلبي محورًا للإفادة في الأسلوب الصحيح للاستخلاف الإنساني في الأرض.

ثم جاءت سورة آل عمران؛ لتحدثنا عن السنن الإلهية في بناء الخير في العالم، وذلك يقتضي التفاعل مع الحضارة النصرانية التي تمثل ثاني حضارة كتابيةٍ، وقد بَيَّن الله ﷻ في السورة القوانين السننية، والقصة الصحيحة عن بداية النصرانية، وجعل هذه المعرفة لنكون خير أمة أخرجت للناس.

---

(1) علي بن عمر الدارقطني، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الارنؤوط، وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة،1424هـ-2004م)، ط1، ج:5، ص:137)، وأصل الحديث عند محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر، وآخرين، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395 هـ-1975م)، ط2، ج:4، ص:414، وقد صححه الترمذي، وحسنه الألباني، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي، (مصر: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية)، ج:5، ص:92.

(2) البخاري، صحيح البخاري، ج:8، ص:190.

فالزهراوان فصلتا إدماج الأقليات الدينية في المجتمع من جهة، والتفاعل مع أهم حضارتين لهما تأثير على الواقع الأرضي.

وهنا جاءت سورة (النساء) المباركة لتبرز الجانب الحضاري المشرق للثقافة القرآنية بالكلام عن بث الحياة الإنسانية، وعن حقوق (النساء) في جوٍّ جاهليٍّ يتلاعب بهن، واستدعى ذلك الكلام عن الحقوق والواجبات الإنسانية بالقسط؛ إذ النساء يشكلن المحور الذي يبث البشرية، واقتضى ذلك الدفاع عن الفئات المستضعفة في العالم، فأبانت السورة الحقوق والواجبات الفردية والجماعية، وأبرزت حقوق اليتامى والنساء والمستضعفين أمام نزوات الاضطهاد والاستغلال.

وهذه القضايا الثلاث: قضايا الأقليات، والحوار مع بقية العالم، والنساء هي أهم القضايا التي تتخذ منها كثيرٌ من القوى العالمية منطلقًا لإظهار تفوقها الفكري مع أنها لم تكتشفها إلا في أواخر القرن العشرين الشمسي في حين ترى القرآن نزل بمعالجتها قبل ألف وأربعمائة عام، وكانت معالجة القرآن لها قائمة على القسط بينما تتم معالجتها من قبل القوى المعاصرة وفق مفهوم نظام (الفيتو) العنصري، وتبعًا للأهواء والعبث والاستغلال.

المعيار الثالث: اسم سورة (النساء)، وعلاقته بموضوعها الكلي:

ينبغي أن نطرح هذا السؤال الذي يظل قائمًا متحديًا بقوةٍ عقول العالمين عامة، والمشككين في خاتمية النبي صلى الله عليه وسلم خاصة: لماذا سميت سورة النساء بهذا الاسم وهي من السبع الطوال؟

الجواب: إن ((النساء شقائق الرجال)) كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم[1]، فلا يستغني أحد الزوجين عن الآخر في القيام بـ (بث الحياة الإنسانية)، وإذا كان الأمر كذلك فقد وجب أن تأخذ المرأة مكانتها المنطقية المكرمة في الواقع الإنساني، ولكن الجاهليات القديمة والحديثة بخست النساء حقوقهن، وعوملن في كثيرٍ من الحضارات البائدة على أنهن جنسٌ منبوذ مستعبد، وبقي الأمر حتى خرجت مظاهرة نسوية في 1856م للاحتجاج في (نيويورك) على الظروف غير الإنسانية التي يُعاملن بها، وفي 8 مارس 1908م تظاهرن مجددًا في (نيويورك) حاملاتٍ قطعًا من الخبز اليابس وحُزَمًا من الورود، وطالبن بخفض ساعات العمل ووقف تشغيل الأطفال، وفي عام 1977م خصصت الأمم المتحدة يوم الثامن من مارس يومًا عالميًا للمرأة.. لكنهم يغفلون أن الكتاب الدستوري الوحيد الذي انتصر للمرأة قبل أكثر من 1400عام كان القرآن المجيد.. فأين عنه يذهبون؟ ولماذا أهله عن كنوزه التي تحتاجها البشرية غافلون؟.

---

[1] أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: عبد الله محسن التركي، (مؤسسة الرسالة، 1421 هـ-2001م)، ط1، ج:6، ص:256، برقم 26238، وحسنه لغيره الأرناؤوط.

تسمية سورة (النساء) تكتسب مكانتها العظيمة من إنصاف المرأة ومنحها مكانتها في (بث الحياة الإنسانية) في سبقٍ لا يمكن مقارنته تاريخًا ولا مضمونًا مع العبث الجاهلي القديم والحديث بالمرأة.

المعيار الرابع: أهم الموضوعات العامة في السورة:

تجد العديد من الموضوعات ثاوية في سورة النساء، فمنها: التقوى، وحقوق المستضعفين من اليتامى والنساء والرجال والسفهاء، ويشهد موضوع القسط حضورًا بارزًا مع التنظيم للسلطة القضائية، وتفصل أحكام تكوين الثروة من التنظيم الإرثي الإسلامي، ونُشِرَ التنظيم الأسري والاجتماعي في بر السورة وبحرها، وترى حضورًا للقوى الكتابية يضاهي ما أزلفته لنا البقرة وآل عمران، كما يجيء في السورة تربص المنافقين، وهم جزء ضمن الخطة المركزية الشيطانية التي بُسِط عنها هنا، وتخطط السورة لأدق التفاصيل في الاستراتيجيات الأمنية والعسكرية، وتظل قضية الصلاة وأركان الإيمان حاضرة بأساليب متنوعة.

المعيار الخامس: مدد السابقين في تحديد موضوع السورة:

ذهب ابن الزبير الغرناطي إلى أن بناء هذه السورة على التواصل والائتلاف ورعي حقوق ذوي الأرحام[1]، ولم يحاول رحمه اللهأن يضع منهجية محددة للتوصل إلى ما رامه سوى الاستعراض المجمل العابر للموضوعات، ولذا لم يستطع أن يحدد موضوعًا محددًا بدقة.

ورأى البقاعي أن مقصودها: الاجتماع على التوحيد، وسميت "سورة النساء" لأن السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل- عادةً-الأرحام التي مدارها النساء[2].

والتوحيد عنوان شديد العمومية تدور حوله السور جميعًا تقريبًا، فلا يناسب أن يكون عنوانًا خاصًا للنساء مع كثرة موضوعاتها وتنوعها.

وذهب محرر الجزء الخاص بسورة النساء في (التفسير الموضوعي-الشارقة) إلى أن محور السورة (التوحيد الصحيح ومقوماته)([3])، وذلك حقٌّ لا ريب فيه، لكنه معطوف على تعليقي أعلاه.

ورأى صاحب الظلال -رحمه الله- أن موضوع السورة يُمَثِّلُ جانبًا من الجهد الذي أنفقه الإسلام في بناء الجماعة المسلمة، وإنشاء المجتمع الإسلامي، وفي حماية تلك الجماعة([4])، وهذا عموم كبير، فإنك تجد أكثر السور تدور حول ذلك، وقد أشرف سيد قطب على موضوعات السورة وأهدافها، فذكر الهدف الكبير في تنظيم المجتمع المسلم على أساس التكافل والتراحم والتناصح والتسامح، والأمانة والعدل

---

[1] أحمد بن إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410 هـ-1990 م) ص:198.

[2] البقاعي، مصاعد النظر ج:2، ص: 88.

[3] مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، ج:2، ص:2.

4) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج:2، ص:350.

والطهارة ومحو رواسب الجاهلية وإنشاء وتثبيت الملامح الجديدة الوضيئة، والهدف الأساس الذي هو تحديد معنى الدين، وربط كل الأنظمة والتشريعات التي تحكم حياة الفرد وحياة المجتمع به[1].

وأما الطاهر بن عاشور فإنه لا يسير على منهجية تحديد موضوع بعينه في تفسيره لكل سورة، بل يذكر أهم أغراض السورة في بدايتها، فقال عن هذه السورة: "قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلى أغْراضٍ وأحْكامٍ كَثِيرَةٍ أكْثَرُها تَشْرِيعُ مُعامَلاتِ الأقْرِباءِ وحُقُوقِهِمْ"، ثم مضى يعدد ما ظهر من الموضوعات إجمالًا[2].

وممن أشار إلى (عمود سورة النساء) فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ مصطفى مسلم وهو رائد علم التفسير الموضوعي وصاحب التأصيل فيه في الوقت الراهن، فقد أشار في كتابه (المعجزة والرسول في ضوء سورة الفرقان) إلى عمود سورة النساء–ويسميه محورها في اصطلاحه– فقال: "سورة النساء من السور التي ثبت اسمها توقيفاً، ولو بحثنا عن العلاقة بين هذا الاسم وبين محور السورة لم نحتَجْ إلى جهد كبير؛ فإن النساء رمز لطبقةٍ في المجتمع الإسلامي تحتاج إلى رعاية وعناية خاصة...." إلى أن يقول: "فمحور سورة النساء يدور حول (رعاية حقوق الضعفاء – المرأة واليتيم —— في المجتمع الإسلامي)" [3].

مدد السابقين يحبوني تقويمًا للموضوع الذي اخترته ليكون (عمود السورة).

المعيار السادس: الخريطة البيانية التي تكون الصورة الكلية لها:

لم تجمع السورة أشتاتًا من الآيات والموضوعات المتفرقة دون رابطٍ واضحٍ بينها، بل كانت كل آية تهدي إلى ما بعدها وتدل على ما قبلها وفق الاتصال الخطي والدائري، وقد وصلت إلى أن عمود السورة يدور حول:

(بث الحياة الإنسانية)

والتنظيم الإلهي الحقوقي لها، وحماية المستضعفين وخاصة النساء والأطفال من الاضطهاد

فهذا سبب (تسوير السورة) حيث منحها شخصيتها المتميزة، والسبيل الحقيقي لمعرفة سبب (تسوير السورة) يقتضي المصابرة التدبرية، ولذا يهيجك اللهﷻ لتتدبر القرآن في هذه السورة، فيقول: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82].

بعد وصولي إلى آخر آية في السورة رأيت سورة (النساء) ينتظمها عمودٌ واحدٌ واضحٌ يربط بين آياتها وفق رسمٍ تفصيليٍّ متقنٍ، فيُظْهِرُ جميع ما تحتاجه الصورة المتكاملة؛ وترى فيها التكامل الخطي والدائري، وتطلبًا للاختصار، وتشويقًا للقلوب والأنظار فها أنا ذا أقدِّم لك الخريطة الكلية لمحاور سورة

---

[1] المصدر السابق، ج:2، ص: 358.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير ج:4، ص:264.

[3] أ.د. مصطفى مسلم، المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، (دمشق: دار القلم، 1427هـ-2006)، ط1، ص:16.

النساء، وأنموذج لأقسام محورين من محاورها مستعينًا بالجداول التي تغني عن السرد، وتكون صورةً أثبت في الذهن، وهلمَّ لخلاصة نحو ست سنين[1]:

[1] نشرت هذه الصور في كتاب: بث الحياة الإنسانية (الوجيز في بصائر سورة النساء)، (قطر: دار لوسيل، 2019م).

هذه الخريطة توضح خلاصة النتيجة عندما نُعمِل موجهات (علم تسوير السورة) حيث ترى في الخريطة: موضوع السورة الكلي (عمودها)، في الأعلى، وتحته قسمت السورة إلى مقدمةٍ وسبعة محاور وخاتمة:

المقدمة، وعنوانها المناسب لعمودها وبقية محاورها كان: أهم الأسس الحقوقية التي تضمن (بثَّ الحياة الإنسانية) [النساء:1]، وهذه المقدمة في آيةٍ واحدةٍ هي الآية الأولى لكنها ضمت بكفاءة عالية الأسس التي تكفل بث الجنس الإنساني وفق مبدأ القسط.

وبعد تقرير أهم الأسس الحقوقية التي تضمن بث الحياة الإنسانية نأتي إلى التفصيل الذي يناسب الوجود الإنساني، وهنا تأتي محاور السورة، وتبتدئ بأنسب نقطة يمكننا الانطلاق منها في الكلام عن بث الحياة الإنسانية.. إنه:

المحور الأول، والعنوان المناسب له في إطار عمود السورة هو: (بداية بث الحياة الإنسانية–الطفل والمرأة) حيث نجد تفصيلًا للحقوق المالية للفئات المستضعفة في المجتمعات، وهذه الفئات المستضعفة هي: الأطفال –وخاصة اليتامى– والنساء والسفهاء، كما نجد إدماجهم على أسس عادلة ضمن السبب الأول الجبري من أسباب تكوين الثروة، وهو الإرث، وقد امتد هذا المحور في الآيات: [2–14] مقسمًا إلى خمسة أقسام متعاضدة تسير على نمط خطي.

وبعد أن نقيم حقوق الطفل والمرأة يكون من الطبيعي أن:

يأتي المحور الثاني، والعنوان المناسب له: (نشوء الأسرة المركزية)، والأسرة المركزية الزوجان والأطفال وفيه تفصيل أهم قوانين الزواج التي تقيم البناء الأسري، وتحافظ على حق الإنسانية في الاستقرار والانتشار، ويمتد هذا المحور في الآيات [15–25].

وبعد أن نشأت الأسرة يكون من المنطقي أن يأتي:

المحور الثالث، والعنوان المناسب له: (حصون استقرار الأسرة المركزية وعلاقتها بالأسرة المتوسطة والعامة ليتحقق بث الحياة الإنسانية)، والأسرة المتوسطة أعني بهم ذوي الأرحام، والأسرة العامة أعني بهم بقية البشرية، وفي هذا المحور نجد التنظيم الإلهي للأسر الإنسانية الثلاث (المركزية والمتوسطة والعامة)، وتقنين الأسس المالية والنفسية للحفاظ على التماسك الأسري [النساء:26–43].

وبعد استقرار هذه الأسر الثلاث يأتي:

المحور الرابع، والعنوان المناسب له: (الإدارة الراشدة وتنظيم الحقوق الإنسانية)، فبعد إقامة الأسر الثلاث لا بد من تنظيم لحياتهم، وفي هذا المحور نجد: حماية الإنسانية بتكوين الإدارة الراشدة التي تؤدي الحقوق إلى أصحابها، وتحديد الطغاة أهل الضلالة والإضلال الذين يتلاعبون بالحقوق الإنسانية، ويمنعون قيام الإدارة الراشدة، وامتد هذا المحور في الآيات [44–70].

وبعد الإدارة الراشدة يأتي بصورة تلقائية:

المحور الخامس، والعنوان المناسب له: (بث الحياة الإنسانية يقتضي الاستقرار بحفظ الأمن الداخلي والسلام العالمي)، فالإدارة الراشدة يجب أن تقوم على بناء المجتمع الحقوقي المدني لضمان بث الحياة الإنسانية، وعمدتها في ذلك الحفاظ على الأمن المجتمعي والسلام العالمي، وذلك يقتضي حفظ المجتمع بتطبيق استراتيجية أخذ الحِذْر من الشرور المختلفة، ونصرةِ المستضعفين، والبحثِ عن أرض العدل والكرامة، وامتد هذا المحور في الآيات [71–104].

وبعد قيام الأسر الثلاث، والإدارة الراشدة، والتأكيد على حفاظها على الأمن والسلام وفق استراتيجية أخذ الحذر لا بد من البحث عن آلية محددة لفك الاشتباك عند التنازع بين أفراد من الأسر الثلاث أو بين الفئات السابقة جميعًا، وهنا يأتي:

المحور السادس: (**المحور الحقوقي القضائي**)، **حيث تجد فيه** السلطة الأرضية الأخيرة التي تحمي القسط في الحياة الإنسانية، وترد الحقوق إلى أصحابها [النساء:105-136]، والمحور يبدأ بالكلام عن التقاضي وينتهي بآية القسط الشهيرة.

وهكذا نجد في المحاور الستة إقامة متقنة لبث الحياة الإنسانية، وبقي لنا لتكتمل الصورة أن ننظر في أهم الأصناف الذين يتلاعبون ببث الحياة الإنسانية، وحينها يأتينا في موقعه المناسب:

المحور السابع، والعنوان المناسب له: أصناف الذين يتلاعبون ببث الحياة الإنسانية، ويمنعون القسط فيها، ويشيعون الظلم والغلو (التطرف) في العالم [النساء:137-173].

وبعد هذا التطواف الكبير في هذه السورة العظيمة نجد تنظيمًا متكاملًا لبث الحياة الإنسانية يشرق به نور القرآن العظيم، ويسبق به بلا منازع كل النظم البشرية الحديثة المتباهية بتقرير الحقوق الإنسانية، ولذا كان من المنطقي أن تأتي في آخر السورة:

الخاتمة، وفيها ترى حق العالم في التعرف إلى الكتاب الحق الذي يقيم بنيان الحياة البشرية ويحل مشاكلها، فيجمع بين العقل والعاطفة، دون غلوٍّ في أحدهما، والتأكيد على استكمال حقوق الأسرة المتوسطة لحماية الإنسانية من الضلالة [النساء:174-176].

هذا وإن مما يثمره إعمال وتوظيف (علم تسوير السورة) -أيضا- الوقوف على قوة الربط ووثاقته بين المحور والذي قبله والذي بعده، وبين خاتمة السورة ومقدمتها حتى ليبدو الاتصال الدائري بين آيات السورة ومحاورها ومقدمتها وخاتمتها جليا لا خفاء به، وهو ما يمكن أن نسمه بـ (قنطرة الانتقال) ضمن الاتصال الدائري المشار إليه.

وكل نقطة في هذه الخريطة لها تفصيل طويل، ولنكتف بمثال يبرز بعض التفصيل من خلال لوحة واحدة هي اللوحة التي تظهر لماذا اخترت أن يكون عمود السورة منطلقًا من هذه الكلمة الذهبية: بث الحياة الإنسانية:

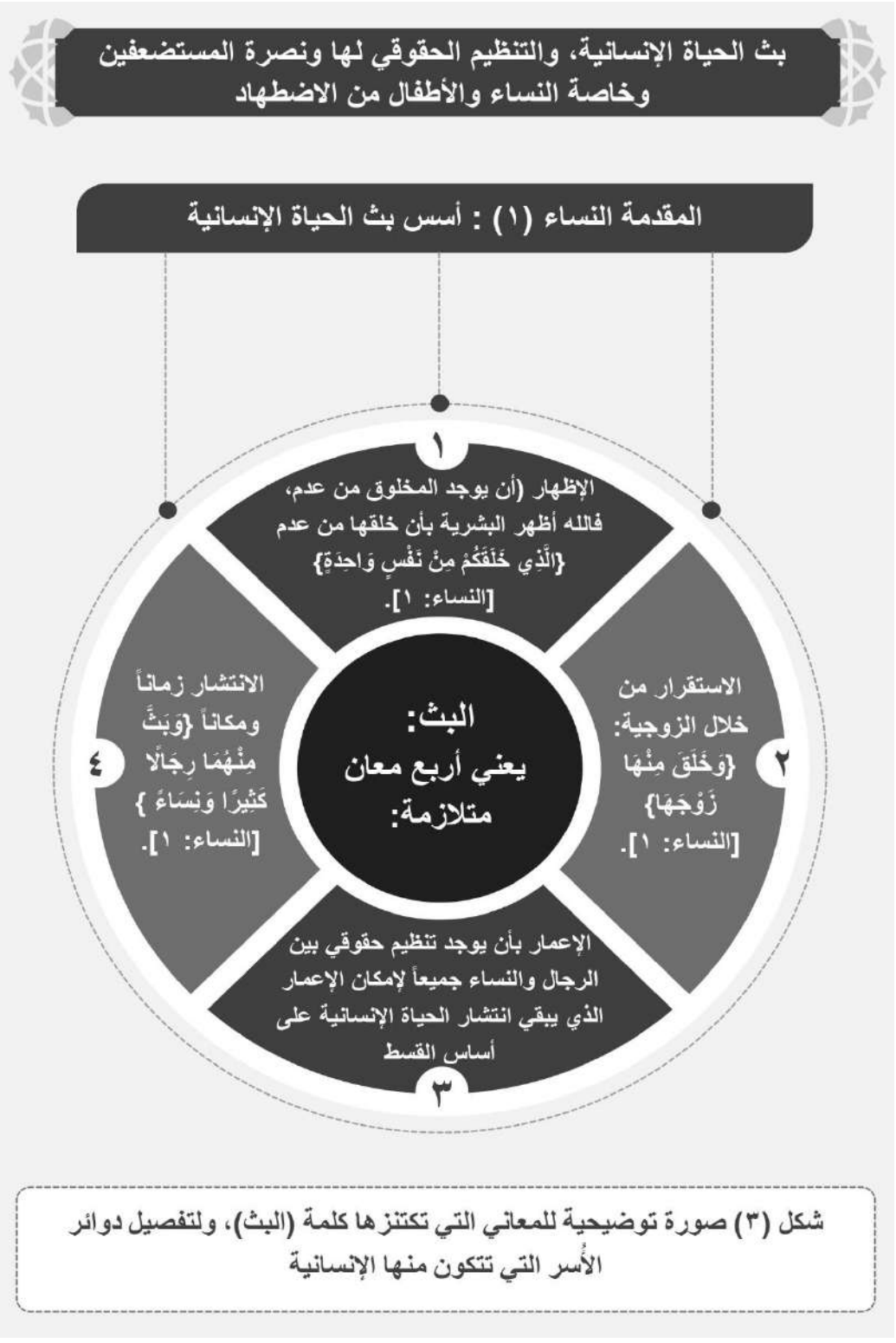

شكل (٣) صورة توضيحية للمعاني التي تكتنزها كلمة (البث)، ولتفصيل دوائر الأسر التي تتكون منها الإنسانية

فكلمة (بث) تقتضي أربعة مفاهيم:

الإظهار، فلا يمكن أن يحدث البث دون وجود المبثوث، والاستقرار من خلال الزوجية، والإعمار من خلال وجود منظومة حقوقية تضمن قيام القسط، وهنا يحدث التكاثر والانتشار الذي هو المعنى الأصلي لكلمة {بث}.

الخاتمة

أهم النتائج:

1) يعد (علم تسوير السور القرآنية) فتحًا تجديديًا في حقل الدراسات القرآنية.
2) الاتصـال بين الجمل والآيات القرآنية ليس قائمًا على العلاقات البلاغية أو البيانية المعتادة بل ترى بينها ترتيبًا رقميًّا يريك البنـاء القرآني في منطقية مدهشة لآياته وسوره وأجزائه وأقسامه.
3) ينتظم (سورة النساء) عمودٌ واحدٌ واضحٌ يربط بين آياتها وفق رسمٍ تفصيليٍّ متقنٍ يكون صورة متكاملة؛ إذ يبصرنا الله في هذه السورة مِنَّته العظمى بـ (بث الحياة الإنسانية)، وتنظيم حقوق أفرادها بالقسط، وأبرزت السورة الجانب الحضاري المشرق للثقافة القرآنية بالكلام عن حقوق المستضعفين وخاصة (النساء)، وتثبيت كرامتهن الإنسانية في جوٍّ جاهليٍّ يمتهنهن ويتلاعب بهن.
4) يحقق (عمود السورة) تقريب فقه سورة النساء ومعالمها إلى الناس بصورة عصرية جاذبة، وذلك بالتفصيل الفكري والتقنيني والحقوقي والفقهي مراعيًا الأسلوب المعاصر الأمثل الذي يفهمه الناس في العصر الحديث.

ويبرز (هذا العمود) الإعجاز القرآني المعنوي في جوانبه التشريعية والتربوية، ذلك أنه يشخص (الزمكان) المطلق، كما يظهر مواكبة معاني القرآن لتجدد أوضاع الحياة.

التوصيات:

1) توظيف (علم تسوير السورة) في استجلاء القيم الحضارية والإنسانية المضمنة في بقية سـور القرآن الكريم، واستلهام بصائرها، وإعمال كل ذلك في التواصل الحضاري مع العالم للقيام بوظيفة البلاغ.
2) الدعوة لتبني مشروع (البصـائر القـرآنية)، والسعي لنمذجته وتقديمه في بدائل متعددة تستهدف الفئات المجتمعية بمختلف أطيافها.
3) عقد المؤتمرات العلمية لإنضاج وتقعيد مناهج البحث والكتابة في (مشروع البصائر القرآنية) وتوظيف الأداة المبتكرة المتمثلة في (علم تسوير السور) ومبادئه وأصوله المنهجية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية

1) الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية)، 1412هـ، ط1.
2) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن الترمذي، (مصر: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية).
3) البُجَيْرَمِيّ، سليمان بن محمد، تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب،(بيروت: دار الفكر)، 1415هـ- 1995م.
4) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة)، ط1، 1422هـ.
5) البقاعي، إبراهيم بن عمر، مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ،ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْنَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، (الرياض: مكتبة المعارف)، ط1، 1408هـ-1987م.
6) البقاعي، إبراهيم بن عمر، دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم، نسخة مخطوطة من مكتبة السليمانية، رقم 77، تحقيق عبد الله الخطيب، نسخة غير منشورة.
7) البعلبكي، رمزي، معجم أعلام المورد (موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين – مستقاة من موسوعة المورد لمنير البعلبكي)، (بيروت: دار العلم للملايين)، ط1، 1992م.
8) البيلي، أحمد أحمد عبد الله، من بلاغة القرآن، (القاهرة: نهضه مصر)، 2005م.
9) الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق:أحمد محمد شاكر، وآخرين، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر)، ط2، 1395 هـ- 1975 م.
10) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية)،416هـ/1995م.
11) الجديع، عبد الله، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، (بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز)، ط1، 1422 هـ - 2001م.

12) ابن حنبل أحمد بن محمد، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: عبد الله محسن التركي، (مؤسسة الرسالة)، ط1، 1421هـ- 2001م.

13) الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الارنؤوط، وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ط1، 1424هـ- 2004م.

14) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي، عبد الرحمن بن يحيى اليماني، (الهند: حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية)، ط1، 1368هـ، 1949م.

15) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ط3، 1420هـ.

16) الرومي، فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط12،1424هـ- 2003م.

17) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية).

18) الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط3.

19) الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه)، ط1، 1376 هـ- 1957م.

20) الزَّوْزَني، حسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، (دار احياء التراث العربي)، ط1،1423هـ- 2002م.

21) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1394هـ/ 1974م.

22) السيرافي، يوسف بن أبي سعيد، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرءوف سعد، (مصر: القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، 1394هـ -1974م.

23) أبو شهبة، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبه السنة)، ط2، 1423هـ- 2003م.

24) الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، تحقيق: جماعة من العلماء، (لبنان: دار الكتب العلمية)، ط1، 1404هـ- 1984م.

25) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب)، ط1414،1هـ.

26) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مصر: دار المعارف)، ط1، 1420هـ- 2000م.

27) الطيار، مساعد، المحرر في علوم القرآن، (السعودية: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي)، ط2، 1429هـ - 2008م.

28) الطيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: إياد محمد الغوج وآخرين، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم)، ط1، 1434هـ- 2013م.

29) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر)، 1984م.

30) العسكري، ديوان المعاني، الحسن بن عبد الله، (لبنان: بيروت، دار الجيل).

31) العسكري، الحسن بن عبد الله أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية)، 1419هـ.

32) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر)، 1399هـ- 1979م.

33) الفراهي، عبد الحميد، دَلَائِل النظام، (الهند: الدائرة الحميدية)،1388هـ.

34) فكري، أنطونيوس، سفر أشعياء، (مشروع الكنوز القبطية).

35) قطب، سيد، التَّصْوِير الفني فِي الْقُرْآن، (القاهرة: دَار الشروق)، ط 6، 1980م .

36) ابن قيم الجوزية، محمد، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ط3، 1416هـ- 1996م.

37) كارلايل، توماس، محمد المثل الأعلى، ترجمة: محمد السباعي، دراسة وتقديم: د. محمود النجيري، (مصر: دار طيبة)، ط1، 2008م.

38) كويبرس، ميشيل، (في نظم سورة المائدة) نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغيّ، ترجمة عمرو عبدالعاطي صالح، (بيروت: دار المشرق)، 2014م.

39) المبرد، محمد بن يزيد، التعازي، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، (مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).

40) المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ط3،1417هـ- 1997م.

41) المجيدي، عبدالسلام مقبل، الأساس في أصول التفسير، ط3.

42) مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، (مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) 1423هـ - 2002م.

43) المجيدي، عبد السلام مقبل، (الوجيز في بصائر سورة النساء)، (قطر: دار لوسيل)، 2019م.

44) مسلم، مصطفى، وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (الإمارات: جامعة الشارقة)، ط1، 1431هـ- 2010م.

45) مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، (دمشق: دار القلم)، ط3، 1426هـ- 2005م.

46) مسلم، مصطفى، المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، (دمشق: دار القلم،)، ط1، 1427هـ/2006.

47) المعري، أحمد بن عبد الله، شرح ديوان المتنبي، تحقق: محمد سعيد المولوي، (المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)، ط1،1429هـ- 2008م.

48) موقع الاتحاد الكاثوليكي للصحافة- لبنان)، www.ucipliban.org 1/4/2016م، مقال بعنوان ((من قسم الإنجيل إلى فصول وآيات؟).

49) النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر للنشر)، ط3، 2002م.

50) يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ط1، 1417هـ- 1996م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

References

1. Abu Shahbah, Muḥammad, *al-Madkhal li-Dirāsat al-Qur'ān al-Karīm*, (in Arabic), (Cairo:Maktabat al-Sunnah), 2nd. ed., 1423 AH – 2003 AD.
2. Al-Albānī, Muḥammad Nāsir al-Dīn, *Ṣaḥīḥ wa Ḍa'īf Sunan al-Tirmidhī*, (in Arabic), (Egypt: Barnāmij Manẓūmat al-Taḥqīqāt al-Ḥadīthah).
3. Al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn Bin Muḥammad al-Rāghib, *al-Mufradāt fi Gharīb al-Qur'ān*, Taḥqīq: Ṣafwān 'Adnān al-Dāwūdī, (in Arabic), (Damascus: Dār al-Qalam, Beirut: Dār al-Shāmīyah), 1412 AH, 1st. ed.

4. Al-‘Askarī, al-Ḥasan Bin ‘Abd Allāh Abu Hilāl, *al-Ṣinā‘atayn*, Taḥqīq: ‘Alī Muḥammad al-Bajjāwī wa Muḥammad Abu al-Faḍl Ibrāhīm, (in Arabic), (Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah), 1419 AH.
5. Al-‘Askarī, *Dīwān al-Ma‘ānī*, al-Ḥasan Bin ‘Abd Allāh, (in Arabic), (Lebanon: Beirut, Dār al-Jīl).
6. Al-Ba‘lbakkī, Ramzī, *Mu‘jam A‘lām al-Mawrid*, (*Mawsū‘at Tarājim li-Ashhar al-A‘lām al-‘Arab wa al-Ajānib al-Qudāmá wa al-Muḥaddithīn – Mustaqāh Min Mawsū‘at al-Mawrid li-Munīr Al-Ba‘lbakkī*), (in Arabic), Beirut: Dār al-‘Ilm lil Malāyīn,), 1st. ed. 1992 AD.
7. Al-Baylī, Aḥmad Aḥmad ‘Abd Allāh, *Min Balāghat al-Qur’ān*, (in Arabic), (Cairo: Nahḍat Maṣr), 2005 AD.
8. Al-Biqā‘ī, Ibrāhīm Bin ‘Umar, *Dalālat al-Burhān al-Qawīm ‘Alá Tanāsub Āī al-Qur’ān al-‘Aẓīm*, Nuskhah Makhṭūṭah al-Sulaymānīyah, No 77, edited by Abdallah El-Khatib, not published.
9. Al-Bujayramī, Sulaymān Bin Muḥammad, *Tuḥfat al-Ḥabīb ‘Alá Sharḥ al-Khaṭīb = Ḥāshīyat al- Bujayramī ‘Alá al-Khaṭīb*, (in Arabic), (Beirtut: Dār al-Fikr), 1415 AH- 1995 AD.
10. Al-Bukhārī Muḥammad Bin Ismā‘īl, *al-Jāmi‘ al-Musnad al-Ṣaḥīḥ*, Taḥqīq: Muḥammad Zuhayr Bin Nāṣir, (in Arabic), (Dār Ṭawq al-Najāh) 1st. ed., 1422 AH.
11. Al-Buqā‘ī, Ibrāhīm Bin ‘Umar, *Maṣā‘id al-Naẓar lil-Ishrāf ‘Alá Maqāṣid al-Siwar wa-Yusammá: “al-Maqṣidu al-Asmá fi Muṭābaqat Ism Kullī Sūratin lil-Musammá*”, (in Arabic), (Riyadh, Maktabat al-Ma‘ārif), 1st. ed. 1408 AH, 1987 AD.
12. Al-Dāraqṭanī, ‘Alī Bin ‘Umar, *Sunan Al-Dāraqṭanī*, Taḥqīq: Shu‘ayb al-Arnūṭ, wa Ākharīn, (in Arabic), (Beirut: Mu‘assasat al-Risālah), 1st. ed., 1424 AH – 2004 AD.
13. Al-Daynūrī, ‘Abd Allāh Bin Muslim Bin Qutaybah, *al-Ma‘ānī al-Kabīr fi Abyāt al-Ma‘ānī*, Taḥqīq: al-Mustashriq D. Sālim al-Karankawī, ‘Abd al-Raḥmān Bin Yaḥyā al-Yamānī ,(in Arabic), (India: Hyderabad al-Dakan, Dā’irat al-Ma‘ārif al-‘Uthmānīyah) 1st. ed., 1368 AH – 1949 AD.
14. Al-Farāhī, ‘Abd al-Ḥamīd, *Dalā’l al-Niẓām*, (in Arabic), (India: al-Dā’rah al-Ḥamīdīyah), 1388 AH.

15. Al-Ittiḥād al-Kāthulīkī lil Ṣahāfah (in Arabic), – Lebanon), www.ucipliban.org 1/4/2016, Maqāl bi-‘Unwān (Man Qassama al-Injīl Ilá Fuṣūl wa Āyāt?).
16. Al-Juday‘, ‘Abd Allāh, Al-*Muqaddimāt al-Asāsīyah fi ‘Ulūm al-Qur’ān*, (in Arabic), (Britain: Markaz al-Buḥūth al-Islāmīyah, Leeds), 1st. ed., 1422 AH – 2001 AD.
17. Al-Ma‘arrī, Aḥmad Bin ‘Abd Allāh, *Sharḥ Dīwān al-Mutanabbī*, Taḥqīq: Muḥammad Sa‘īd al-Mawlawī, (in Arabic), (Kingdom of Saudi Arabia: Markaz al-Malik Faysal lil Baḥūth wa al-Dirāsāt al-Islāmīyah), 1st. ed., 1429 AH – 2008 AD.
18. Al-Majali, Muhammad Khazir, “Ism al-Rahmān fī al-Quran, al-Dilāla wa al-Siyāq”, (in Arabic), *Al-Bayan: Journal of Qur'an and Hadith Studies* ،23 Oct 2020 ،Volume 18: Issue 2 ،Pages: 201–226. https://brill.com/view/journals/jqhs/18/2/article-p201_5.xml
19. Al-Majīdī, ‘Abd al-Salām Muqbīl, *al-Wajīz fi Baṣā’ir Sūrat al-Nisā’*, (in Arabic), (Qatar: Dār Lūsayl), 2019 AD.
20. Al-Majīdī, ‘Abd al-Salām Muqbīl, *al-Asās fi Uṣūl al-Tafsīr*, 3rd. ed.
21. Al-Mubarrid, Maḥmūd Bin Yazīd, *al-Kāmil fi al-Lughah wa al-Adab*, Taḥqīq: Muḥammad Abu al-Faḍl Ibrāhīm, (in Arabic), (Cairo: Dār al-Fikr al-‘Arabī), 3rd. ed., 1417 AH – 1997 AD.
22. Al-Mubarrid, Maḥmūd Bin Yazīd, *al-Ta‘āzī*, Taqdīm wa Taḥqīq: Ibrāhīm Muḥammad Ḥasan al-Jamal, Murāja‘at: Maḥmūd Sālim, (in Arabic), (Egypt: Nahḍat Miṣr lil Ṭibā‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzī‘).
23. Al-Nawrasī, Badī‘ al-Zamān Sa‘īd, *Ishārāt al-I‘jāz fi Mẓẓān al-Ījāz*, Taḥqīq: Iḥsān Qāsim al-Ṣāliḥī, (in Arabic), (Cairo: Sharikat Sūzlar lil Nashr), 3rd. ed., 2002 AD.
24. Al-Rāzī, Muḥammad Bin ‘Umar, *Mafātīḥ al-Ghayb*, (in Arabic), (Beirut: Dār al-Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī), 3rd. ed., 1420 AH.
25. Al-Rūmī, Fahd Bin ‘Abd al-Raḥmān, *Dirāsāt fi ‘Ulūm al-Qur’ān al-Karīm*, (in Arabic), 12th. ed., 1424 AH, 2003 AD.
26. Al-Sayrāfī, Yūsuf Bin Abi Sa‘īd, *Sharḥ Abyāt Sībawayh*, Taḥqīq: al-Duktūr Muḥammad ‘Alī al-Rīḥ Hāshim, Rāja‘ahu: Ṭahā ‘Abd al-Ra‘ūf Sa‘d, (Egypt: Cairo, Maktabat al-Kullīyāt al-Azharīyah, (in Arabic), Dār al-Fikr lil Ṭibā‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzī‘), 1394 AH- 1974 AD.

27. Al-Shawkānī, Muḥammad Bin ‘Alī, *Fatḥ al-Qadīr*, (in Arabic), (Damascus: Dār Ibn Kathīr, Beirut: Dār al-Kalim al-Ṭayyib), 1st. ed., 1414 AH.
28. Al-Shawkānī, Muḥammad Bin ‘Alī, *Irshād al-Thiqāt Ilá Ittifāq al-Sharā’i‘ ‘Alá al-Tawḥīd wa al-Ma‘ād wa al-Nubuwāt*, Taḥqīq: Jamā‘ah Min al-‘Ulamā’, (in Arabic), (Lebanon: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah), 1st. ed., 1404 AH – 1984 AD.
29. Al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān Bin Abi Bakr, Jalāl al-Dīn, *al-Itqān fi ‘Ulūm al-Qur’ān*, Taḥqīq: Muḥammad Abu al-Faḍl Ibrāhīm, (in Arabic), (Egypt: al-Hay’ah Miṣrīyah al-‘Āmmah lil Kitāb), 1394 AH / 1974 AD.
30. Al-Ṭabarī, Muḥammad Bin Jarīr, *Jāmi’ al-Bayān ‘An Tāwīl al-Qur’ān*, Taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Shākīr, (in Arabic), (Miṣr: Dār al-Ma‘ārif), 1st. ed., 1420 AH – 2000 AD.
31. Al-Ṭayyār, Musā‘id, *al-Muḥarrir fi ‘Ulūm al-Qur’ān*, (in Arabic), (Jedda, Markaz al-Dirāsāt wa al-Mā‘lūmāt al-Qur’ānīyah bi-Ma‘had al-Imām al-Shāṭibī), 2nd. ed., 1429 AH – 2008 AD.
32. Al-Ṭībī, al-Ḥusayn Bin ‘Abd Allāh, *Fattūḥ al-Ghayb fi al-Kashf ‘An Qinā‘ al-Rayb*, Taḥqīq: Iyād Muḥammad al-Ghawj wa-Ākharīn, (in Arabic), (Dubai, Jā’izat Dubay al-Dawlīyah lil Qur’ān al-Karīm), 1st. ed., 1434 AH – 2013 AD.
33. Al-Tirmidhī, Muḥammad Bin ‘Isā, Taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Shākir, wa Ākharīn, (in Arabic), (Egypt: Sharikat Maktabat wa Maṭba‘at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī – Egypt), 2nd. ed., 1395 AH, 1975 AD.
34. Al-Zarkashī, Muḥammad Bin ‘Abd Allāh, *al-Burhān fi ‘Ulūm al-Qur’ān*, Taḥqīq: Muḥammad Abu al-Faḍl Ibrāhīm, (in Arabic), (Egypt: Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, ‘Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurkāh), 1st ed., 1376 AH – 1957 AD.
35. Al-Zawzanī, Ḥusayn Bin Aḥmad, *Sharḥ al-Mu‘allaqāt al-Sab‘a* (in Arabic), (Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī), 1st. ed. 1423 AH – 2002 AD.
36. Al-Zubaydī, Muḥammad Bin Muḥammad, T*āj al-‘Urūs min Jawāhir al-Qāmūs*, Taḥqīq: Majmū‘ah min al-Muḥaqqiqīn, (in Arabic), (Dār al-Hidāyah).
37. Al-Zurqānī, Muḥammad ‘Abd al-Aẓīm, *Manāhil al-‘Irfān fi ‘Ulūm al-Qur’ān*, (in Arabic), (Maṭba‘at ‘Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh), 3rd. ed.
38. Fikrī, Anṭūniyus, *Safar Ash‘iyā’*, (in Arabic), (Mashrū‘ al-Kunūz al-Qibṭīyah).
39. Ibn Fāris, Aḥmad, *Mu‘jam Maqāyīs al-Lughah*, Taḥqīq: ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, (in Arabic), (Beirtut: Dār al-Fikr), 1399 AH – 1979 AD.

40. Ibn Ḥanbal Aḥmad Bin Muḥammad, *Al-Misnad*, Taḥqīq: Shu‘ayb al-Arnūṭ, wa Ākharīn, Ishrāf: ‘Abd Allāh Muḥsin al-Turkī, (Mu‘assasat al-Risālah), (in Arabic), 1st. ed., 1421 AH – 2001 AD.
41. Ibn Qayyim al-Jawzīyah, Muḥammad, *Madārij al-Sālikīn*, Taḥqīq: Muḥammad al-Mu‘taṣim bi-Allāḥ al-Baghdādī, (in Arabic), (Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 3rd. ed. 1416 AH- 1996 AD).
42. Ibn Taymīyah, Aḥmad Bin ‘Abd al-Ḥalīm, *Majmū‘ al-Fatāwá*, Taḥqīq: ‘Abd al-Raḥmān Bin Muḥammad Bin Qāsim, (in Arabic), (Kingdom of Saudi Arabia: Mujamma‘ al-Malik Fahd li-Ṭibā‘at al-Muṣḥaf al-Sharīf, al-Madīnah al-Nabwīyah), 1416 AH / 1995 AD.
43. Inb ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, *al-Taḥrīr wa a-Tanwīr*, (in Arabic), (Tunis: al-Dār al-Tunisīyah lil Nashr,), 1984 AD.
44. Kārlāyil, Tumās, *Muḥammad al-Mathal al-A‘lá*, Tarjamah: Muḥammad al-Sibā‘ī, Dirāsah wa Taqdīm: D. Maḥmūd al-Nujayrī, (in Arabic), (Egypt: Dār Ṭayyibah), 1st. ed., 2008 AD.
45. Kuwaybras, Mīshīl, *(fī Naẓm Sūrat al-Mā’dah) Naẓm Āī al-Qur’ān fi Ḍaw’ Manhaj al-Taḥlīl al-Balaghī*, Tarjumah ‘Amru ‘Abd al-‘Āṭī Ṣāliḥ, (in Arabic), (Beirut: Dār al-Mashrīq), 2014 AD.
46. Majmū‘a min al-Asātidhah wa al-‘Ulamā’ al-Mutakhaṣṣisīn, *al-Mawsū‘ah al-Qur’ānīyah al-Mutakhaṣṣisah*, (in Arabic), (Egypt: al-Majlis al-‘Alá lil Shu’ūn al-Islāmīyah), 1423 AH – 2002 AD.
47. Mir, Mustansir, *The Coherence of the Qur'an*, (in Arabic), (Indianapolice, American Trust Publication, 1986).
48. Muslim, Muṣtafá, Mabāḥith fi I‘jāz al-Qur’ān, (in Arabic), (Damascus: Dār al-Qalam), 3rd. ed., 1426 AH – 2005 AD.
49. Muslim, Muṣtafā, wa Ākharūn, *al-Tafsīr al-Mawḍū‘ī li-Suwar al-Qur’ān al-Karīm*, (in Arabic), (Emirates: Jāmi‘at al-Shāriqah), 1st. ed., 1431 AH – 2010 AD.
50. Muṣtafá Muslim, al-*Mu‘jizah wa al-Rasūl Min Khilāl Sūrat al-Furqān*, (in Arabic), (Damascus: Dār al-Qalam), 1st. ed., 1427 AH – 2006 AD.
51. Quṭb, Sayyid, *al-Taṣwīr al-Fannī fi al-Qur’ān*, (in Arabic), (Cairo: Dār al-Shrūq), 6th. ed., 1980 AD.
52. Ya‘qūb, Imīl Badī‘, *al-Mu‘jam al-Mufaṣṣal fi Shawāhid al-‘Arabīyah*, (in Arabic), (Beirut, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah), 1st. ed., 1417 AH – 1996 AD.